محمد وقيع الله

أكذوبة البعث

دراسة لجدليات التاريخ والفكرة من داخل خريطة المأساة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري

بيت المعرفة للانتاج الاعلامي - أم درمان - عمارة محمد حسين

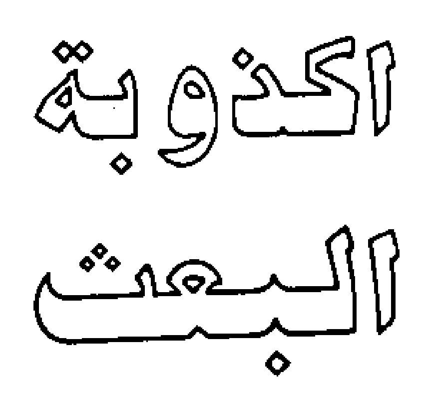
الطابق الثانى شقة ٤٧ - ت ٥١٤٥٩ - ٥٦٣٠٨

ص. ب ٦٤٠٨

تلكس ٢٢١٦٧ تاتا

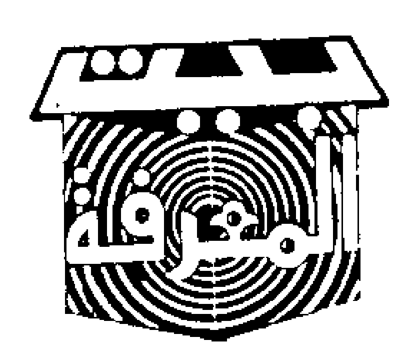
السودان

محمد وقيع الله



إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري

دراسة لجدليات التاريخ و الفكرة من داخل خريطة المأساة



إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري

إهـــداء

* الى روح الطالب السودانى الشهيد الطيب النورابى الذى اغتالته عصابة البعث الفاجرة ببغداد..
* والى رفاقه الأوفياء الذين تركوا دراستهم احتجاجا على الاغتيال..
* والى حسام عبد الرحمن شداد الذى قضى سنوات عمره القصير، دائب الجهاد، متواصل العطاء.. وعسى الله أن يتقبله عنده مع الشهداء..

محمـد

فهرست

إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري

بين يدى البحث

رغم الضجيج الشديد الذى يحدثه حزب البعث على الساحة السياسية، إلا ان أفكار هذا الحزب ومضامينه وشعاراته، يكتنفها الغموض الشديد. أما تاريخ الحزب فهو أكثر غموضاً وخفاءاً.

وقد تلونت سياسات الحزب بكثير من الألوان، حتى لم يعد كثير من القراء والمثقفين والمراقبين، يعرفون عن الحزب الا سياساته الآنية وفكرة عامة عن توجهاته القومية العروبية.

وفى المدى الذى أعقب انتفاضة رجب المباركة، كنت قد تعرضت لكثير من الاسئلة حول الفكر البعثى، بحكم اختصاصى فى تدريس الفكر السياسى، وبحكم ممارستى للنشاط الفكرى السياسى على المستوى الجماهيرى، كتابة وخطابة، وكان ذلك كله حافزاً لى لاستكمال معلوماتى عن حزب البعث، وتفحص تاريخه ومواقفه.

وفى هذه الصفحات يجد القارىء بعض دراسات عن تاريخ وأفكار حزب البعث، آثرت ان أزود بها القارىء الكريم، مركزة فى هذه الصفحات القليلة التى أرجو ان تفى بحاجة كل من يريد إلماما باتجاهات ومرامى هذا الحزب.

وقد يلاحظ القارىء - أحياناً - حدة فى التناول والرد، ولكن لم أكن لأجافى الأمانة العلمية مطلقاً، فى تقديم مادة الحزب للتحليل والنقد. ولا شك ان ظروف الخصام السياسى والتناقض الفكرى، قد كيفت بعض أجزاء البحث، ولكنى أتحدى البعثيين أنفسهم ان تكون لهم القدرة على تلخيص قضاياهم، وعرضها بأمانة وموضوعية كما فعلت فى هذا البحث.

اللهم اجعل هذه الصفحات خالصة لوجهك الكريم، انك أكرم مسئول وأعز مأمول وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلـــف

الخرطوم/ أبريل ١٩٨٨م

الفصل الاول

«ان إدخال هرطقة القومية العلمانية ، كانت أرسخ المظالم التى أوقعها الغرب على الشرق الاوسط . ومع ذلك كانت أقل المظالم ذكرا وإعلانا» .

د . برنارد لويس

قصة القومية فى عالمنا العربى

شهد شعار القومية انحسارا شديدا فى الغرب فى العقود الفائتة، بسبب وضوح الاضرار التى تسبب فيها، والحروب المتواصلة والانقسامات (انقسامات الدول بالحروب الأهلية) .. بعد أن أدى تفاقم النزعة القومية الآرية المتطرفة الى اندلاع الحرب العالمية الثانية التى كان حصادها أكثر من خمسين مليون انسان..

ويتجه الغرب الآن، كما يتجه العالم عموما، إلى نوع آخر من الجامعات - غير القومية - التى تؤمِنْ مصالح الدول العسكرية والاقتصادية والثقافية، مثل حلف الأطلسى وحلف وارسو، والسوق الأوربية المشتركة، والكومنولث، ورابطة الشعوب المتحدثة بالفرنسية وهلم جرا..

وأما فى عالمنا العربى فلا يزال القوميون الوحدويون يدعون إلى شعار اتحاد العالم العربى بنفس تلك الصيغة الرومانتيكية العاطفية الشعرية الحالمة والتى فشلت تطبيقاتها أكثر من خمس عشرة مرة فى المدى القريب السابق..

وبرغم ذلك فلا يزال دعاة الوحدة والقومية مصرين على صحة شعاراتهم - المستعارة من اوربا أساسا - غير مبالين بما جرى ويجرى لمضامينها وأشكالها هنالك من تعديلات وتحويرات..

والحق ان قصة التقليد فى العالم العربى فيها من الطرافة بقدر ما فيها من الريبة المذهلة، فالتقليديون الجدد لا يحسنون تقليد ما يجلبونه إلى بلادنا من بضاعة الغرب القديمة المزجاة. وكثير من الاتجاهات الفكرية والسلوكية لا تفد إلينا إلا بعد ان تطوى طى السجل للكتب فى الغرب..

وخذ مثلا موجة الرفض (الهيبز والبيتلز) التى لم تزدهر عندنا إلا عندما خلت الميادين الاوربية والامريكية من أفواج الرافضين والمتمردين الذين اتجهوا بحركتهم وبشعاراتهم هنالك إلى اتجاهات ومشارب أخرى ولم يعد مظهرهم هو ما انتشر عندنا من أنماط الأزياء الغربية والمحزقة و (الشارلستون) والشعر المنفوش..

أما في ميدان الأدب فلم تنتشر (مودة) الرمزية المفرطة، والحداثة المهوّمة ، وحركة الشعر الحر المنفلتة، ومناهج الاشتراكية الجامدة، إلا بعدما أفلت هذه المودات هناك، وكسد سوقها، وبدأ الغربيون يحنون إلى الكلاسيكية من جديد، بعد ان رفضوها واجتازوها..

ويحدثنا العلامة ابن خلدون رضوان الله عليه - بان المغلوب مولع دائما بتقليد الغالب، ولكنه لا يحدثنا في قانونه الحضارى هذا عن ان المغلوب لابد ان ينزع حتما الى تشويه ما يقلده ولا الى تقليد القديم المندثر الذى بلى وتخلى عنه الخصم..

وتاريخ الامة العربية القديم يحدثنا في بعض مراحله عن استثناءات بارزة في هذا القانون .. مثل تجافي العرب «المسلمين» تقليد جحافل التتار الغزاة المنتصرين الذين دمروا الحضارة الاسلامية في القرن السابع الهجرى، وعندها حدث العكس تماما اذ عمد التتار الغزاة المنتصرون الى تقليد افكار وعادات ولغة ودين العرب المسلمين المنهزمين في اغرب حادث من نوعه في التاريخ .

شعار القومية الحالى:

وأما شعار القومية الحالى، فهو أحد نتائج هذا التقليد السيء الذى عمدت اليه طلائع الأمة في خروجها على دينها وأصالتها التى كانت تعصمها من التقليد في الماضي. ويحدثنا عبد العزيز جاويش قائلا: "إن الشعور بالوطنية اصطلاح افرنكى انتقلت بذوره الى الشرق من مطاوى العلوم العصرية وأصول المدنية الحديثة التى اهتدى بها الغرب" [1].

كما يحدثنا المستشرق البريطاني برنارد لويس في كتابه (الغرب والشرق الأوسط) وهو مجموعة محاضرات عن الاسلام القاها في جامعة انديانا بامريكا فيقول ان: (ادخال هرطقة القومية العلمانية أو عبادة الذات الجماعية كانت أرسخ المظالم التى أوقعها الغرب على الشرق الأوسط، ومع ذلك كانت اقل المظالم ذكرا واعلانا) [2]

---

(١) د. محمد حسين. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢، الجزء الأول، ص ٦٩

(٢) د. برنارد لويس. الغرب والشرق الأوسط، ص ١٠٥.

وهـرطقـة القـوميـة او بـتعبير المستشرق الدقيق، عبادة الذات الجماعية، هى إحدى بدع اوربا التى كانت نتاجا لمراحل ثلاث فى تاريخها الذى تأرجحت فيه ما بين التوحيد والتقسيم. ففى الطور الأول كانت الامبـراطوريـة الرومـانية توحد اوربا فى دولة واحدة عاشت إلى ان عدا عليها برابرة الشمال فمزقوها، ثم عاد البابا ليوحد اوربا تحت راية الكنيسة الكاثوليكية ليواجه المد الاسلامى الزاحف من جنوب فرنسا وارض الاندلس..

ثم عادت اوربا وتمزقت فى عصر النهضة من خلال ثورات ماتزينى وبسمـارك وغاريبالدى حيث تحققت الوحدتان الالمانية والايطالية وتمخضت حروب القرن التاسع عشر عن الصراع القومى الضارى، الذى حطم امبـراطوريـة النمسـا والمجـر، والامبراطورية التركية، واظهر الدعوات القومية التشيكية والسلافية والرومانية والبولندية وغيرها.

وقد طور فلاسفة القومية الاوربية مبادئها وأفكارها ومحتوياتها الاجتماعية حتى اصبحت دينا وهاجسا وهوسا للناس. واستغلوا فى آخـر المـدى بعض مبـادىء العلم الطبيعى لترويج مذاهبهم وتبـريـر تجـاوزاتهـا وعدوانيتها الشرهة، فزعموا ان قاعدة البقاء للاصلح (Survival of The Fittest) الداروينية تصلح للتطبيق على المجتمعات البشرية. ويحدثنا الكاتب الفرنسى فرانسيس كوكر عن ذلك قائـلا (ولقـد استخدمت نظرية النشوء والارتقاء الداروينية استخداما خاطئـا لتـأكيـد هذه الأفكـار) ويخص بالذكر ارنست هيكل الداروينى الشهير الذى طبق بذكاء شديد نظرياته البيولوجية فى الفلسفة وعلم الاجتمـاع، وقـرر ان الانانية هى قانون الحياة العالمى وان الارض وخـيراتها لا تكفى لحياة المجموعات البشرية كلها، ولذلك فلابد ان تفنى المجمـوعـات القـويـة المجموعات الضعيفة، ويصبح البقاء للأصلح فقط!!

وعلى مثل هذه الأفكار وعلى افكار "فيخته" و "نتشه" و "هتلر" جاء النـازيـون الغلاة يمثلون خلاصة الفكر القومى ويحملون فى ملامحهم وطواياهم كل مخايل ونزعات الاعتداء والاعتزاز والتعصب

للجنس الآرى، والتـأفف من الأجناس الأخرى، حتى ان هتلر كان يصرح فى كتابه "كفاحى" بان الشعب الفرنسى يحمل ـ فى اعتقاده ـ فى عروقه دما نجسا. ويهاجم دعاة المساواة بين الأجناس قائلا: "إن هذه المساواة عجزت عن ان تخلقها العناية الالهية فكيف يصنعها هؤلاء بجرة قلم!!"

نشأة القومية العربية

وأما الفكر القومى العربى فيحدثنا أحد دعاته وهو أحمد صدقى الدجانى فى بحثه: (ملاحظات حول نشأة الفكر القومى)
فيقول: ان لفظ القومية ظهر اول ما ظهر فى ١٩١٦ فى نداء الشريف حسين (شريف مكة).[١] ويرجع البعض جذور هذا الفكر إلى أبعد من ذلك فى النداءات الهلامية التى وردت فى اشعار ناصيف اليازجي اللبنانى (١٨٠٠ ـ ١٨٧١) وابنه ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ ـ ١٩٠٥) القائل:

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب
فقد طما السيل حتى غاصت الركب

وهذا البيت من شعر القاه فى حفل الجمعية السورية، مخاطبا العرب ليواجهوا البطش التركى الذى آدى فى ذلك الحين إلى مواجهة حادة ما بين العنصرين العربى والتركى، مثلما أدى الاستعلاء العربى قديما إلى ظهور النزعة القومية الشعوبية لدى الفرس..

وباعتلاء القوميين الطورانيين دست الحكم فى تركيا، على يد مصطفى كمال فى ١٩٠٨ تصاعد عداؤهم الواضح للعرب وبالغوا فى مناهضة الرابطة الاسلامية، التى تجمع شعوب العالم الاسلامى، ونادوا بإعلاء راية القومية الطورانية، وإحياء التراث الوثنى التركى، (تماما مثلما نادى شاه ايران بإحياء عرش أجداده المجوس قبل مهلكه بسنوات!) وقد حارب الطورانيون كل ما يمت إلى العروبة بصلة حتى حرموا الآذان باللغة العربية ونادوا بما يصل قوميتهم مع الأجناس الطورانية الأخرى كالمجر والمغول والتتار والفنلنديين وغيرهم.

---

[١] فى بحثه «ملاحظات حول نشأة الفكر القومى»، منشور من ضمن كتاب «القومية العربية فى الفكر والممارسة»، الذى اصدره مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت ١٩٨٠، ص ٣٠٨

وحالفوا المانيا في الحرب العالمية الأولى على هذا الأساس.وكانت المانيا هي المصدر الذي سرت منه هذه العدوى القومية الى تركيا اذ تسربت مع المبعوثين الأتراك الذين تلقوا العلم هناك.

ولما تصدى العرب لهذه العنجهية التركية المتطاولة، اقدم جمال باشا الطوراني المتطرف الى اقامة المذابح البشعة واجراءات القمع الساحقة التي واجه بها عرب الشام، وانصارهم خاصة، حتى لجأوا إلى حماية فرنسا، التي كانت لها كما كان لاوربا قاطبة ثارات على الدولة التركية آلت ان تشفيها بتصفية الامبراطورية العجوز.

ومن جانب الانجليز فقد عملوا على تصعيد مشاعر العرب القومية ضد الامبراطورية التركية التي كانت رغم تآكلها تهدد مصالح الانجليز في مستعمراتهم المسلمة وبخاصة مستعمرة الهند.وشجعوا لذلك الثورة العربية الكبرى بقيادة شريف مكة ولورنس العرب ضد الأتراك.. وحظيت هذه الثورة كذلك، بتعضيد نصارى الشام الموارنة (حزب الكتائب الآن)، الذين تذرعوا بالثورة العربية لمناهضة الأتراك، ثم تنكروا من بعد حتى لمبدأ العروبة نفسه وطفقوا ينادون بمبدأ فينيقية لبنان.. هذا وسيكون لنا حديث طويل عن هذه الثورة العربية الكبرى المزعومة والتي حدثنا الدجاني بأنها مبتدأ المد القومي واعتبرها حزب البعث العربي في دستوره الثورة العربية الأم..

وكانت التماعات أخرى تبعت هذه الثورة التي ورثها فيصل، ابن الشريف حسين الذي سماه لورنس بنبي الوطنية في العالم العربي كما برقت اسماء مثل ساطع الحصري فيلسوف القومية العلمانية الأكبر، وعبد الرحمن الكواكبي، ورشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، وهؤلاء احتفظوا بارتباط كبير بالدين، وتناءٍ عن مراكز الارتباط الفكري والسياسي المشبوه، وتخلى الأخيران منهما في سني نضجهما عن اي مشاعر قومية، وجاء انتاجهما المتداول انتاجا فكريا اسلاميا صرفا..

وظهر المفكرون القوميون من أبناء نصابى الشام من أمثال شبلي شميل، ونجيب العاذوري، وانطون سعادة، وجورج حبش، ووديع حداد، كما ظهر مفكرو حزب البعث الكبار المعتمدون وهم في جملتهم من النصارى من أمثال ميشيل عفلق، والياس فرح، وشبلي العيسمي.

وعلى مراحل مختلفة من التاريخ العربي تفاوتت وجهات الحركة القومية ووضعياتها. فكانت يمينية الطابع فترة ما، وبخاصة في مراكزها التي اتخذتها في أوكار التبشير، وبخاصة الوكر الأكبر في الجامعة الامريكية في بيروت (A.U.B.)، والتي كانت تسمى فيما سلف بالكلية السورية الانجيلكانية!

.. كما تأثرت الحركة القومية العربية إلى حد بالحركة النازية وفكرها الصاعد فيما أبان لنا ذلك د. سامي الجندي، أحد مؤسسي حزب البعث، اذ يقول: (كنا عرقيين معجبين بالنازية نقرأ كتبها ومنابع فكرها وخاصة نتشه "هكذا تكلم زرادشت" وفيخته "خطابات إلى الأمة الألمانية" و هـ. أ. تشمبرلين "نشوء القرن التاسع عشر" وداره "العرق" وكنا أول من فكر بترجمة كفاحي).[1]

وفي الخمسينيات انحرفت الحركة القومية يسارا عندما غادرتها بعض العناصر اليمينية بدعوى ان تخريبا قد حدث في المسيرة.. وقد كان جمال عبد الناصر هو المتألق في سماء العالم العربي. ولذلك كان الطابع الناصري هو الغالب على الحركة القومية حتى سلم له البعثيون بالقيادة في ١٩٥٨ وجعلوه زعيم الوحدة التي انشئت فيما بين سوريا ومصر باسم الجمهورية العربية المتحدة..

وبعد هزيمة ١٩٦٧م تقمصت فصائل من الحركة القومية، الفكر الماركسي اللينيني المتشدد كأسلوب التحليل.. وكان جورج حبش ووديع حداد، (الفلسطينيان) ود. أحمد الخطيب (النائب البرلماني الكويتي) هم قادة هذا التحول.

واستولى هذا التيار القومي المتمركس بواسطة فصيله بالجبهة القومية،على اليمن الجنوبية، تسليما من الاستعمار البريطاني نكاية منه في جبهة تحرير الجنوب اليمني، التي ناضلت ضد الاستعمار بقيادة عبد القوي مكاوي..

وحرصا من الانجليز على عدم توحد الجزيرة العربية المحافظة الطابع، اعطوا السلطة لهؤلاء الذين اعلنوا من فورهم حالة الهستريا الماركسية المتطرفة التي لا تزال تخض اليمن الجنوبي وما جاوره حتى الآن..

(١) د. سامي الجندي، البعث، ص ٢٧

الفصل الثانى

«ان البعثيين خلعوا
حزبيتهم، كما يخلع المؤمن
حذاءه على باب الجامع» .
مصطفى أمين .

إخـــراج إلكتروني : ابوبكر خيري

إخـــراج إلكتروني : ابوبكر خيري
إخـــراج إلكتروني : ابوبكر خيري
إخـــراج إلكتروني : ابوبكر خيري
إخـــراج إلكتروني : ابوبكر خيري

قصة حزب البعث فى سوريا

منذ اندثار الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين لم تفرز حركة الدعوة القومية تنظيما مؤسسا حتى جاءت سنة ١٩٣٢ فقامت عصبة العمل القومى لتمارس دورا سياسيا منظما واجه الاستعمار الفرنسى مواجهة سلبية بالامتناع عن التعاون معه أو التوظف فى ظله أو الاشتراك فى المجلس النيابى الذى كان يشرف عليه.

وعندما مات أمين العصبة عبد الرازق الدندشى وقَبِل خليفته صبرى العسلى دخول المجلس النيابى وانسحب زكى الارسوزى من التشكيل بدأت العصبة رحلة الانهيار التى كانت قصيرة حيث لفظت آخر الانفاس فى ١٩٣٩.

بدايات الارسوزى:

ومن هنا بدأ تشكيل حزب البعث على يد الأستاذ زكى الارسوزى الذى كان زعيم القوميين المناضلين من أبناء لواء الاسكندرون السليب الذى ضم الى تركيا. ويصف لنا الدكتور سامى الجندى - أحد مؤسسى البعث - استاذه الارسوزى فيقول انه اعطى المقاومة (معنى صوفيا وطنيا واستقطب اعجاب وتأييد شباب سوريا قاطبة وغدا رمزا وطنيا لمع اسمه كظاهرة جديدة تعبر عن مفاهيم اخرى غير مفاهيم الزعماء التقليديين التى آمن بها شعب سوريا على انها مسلمات. كان هزة للقيم السياسية وبداية الشك بالأفكار والأساليب، منطقا مختلفا لا يمت الى العادى المألوف، أول من كشف عورات التخلف وجاء للسياسة بتحليل متأثر بالثقافة والفكر الاوربى)[1]

وتعاليم الارسوزى حملت فى طواياها تأكيد ان العرب امة واحدة وان العروبة وجداننا القومى مصدر المقدسات تنبثق عنه المثل العليا وبالنسبة إليه تقدر الأشياء وان العربى سيد القدر. وكان هذا أقصى

(١) د. سامى الجندى، البعث، بيروت، ص ٢١

ما أعطى من تعريف حتى ذلك الوقت للعروبة. وفي ١٩ من تشرين ١٩٤٠ ألقى الارسوزى محاضرة تحمل تعاليمه استغرقت اربع ساعات أمام ستة من تلاميذه في غرفة أحدهم، قال فيها (يوم ذكرى سلخ اللواء أحزن فاتفاءل، يحفزني الألم للعمل فانهد إليه. أرى أن نؤسس حزبا ونسميه البعث العربي) فأسسه وقسمه إلى قسمين يعتني أولهما بالعمل السياسي والآخر بالعمل الثقافي. وانطلق القسمان يبشران بدعوة البعث أو الاحياء العربي بين طلاب الثانويات الذين كانوا عماد الحركة الوطنية الشعبية المناهضة للاحتلال الفرنسي. وفي أعماق تلك المدارس تكونت أولى خلايا حزب البعث.

ظهور عفلق والبيطار:

وكان طالبان في فرنسا أحدهما يسمى ميشيل عفلق والثاني صلاح الدين البيطار، يتلقيان العلم ويكتشفان الاشتراكية هناك. وفي حديثه لباتريك سيل، يقول ميشيل عفلق: "لم أكن قبل ذهابي لفرنسا سوى وطني، لقد تاثرت جدا بوالدي الذي قام بدور مغال في النضال ضد الفرنسيين فسجن مرات عدة إن الوطنية كانت تعتبر واقعنا المحلي لكنني اكتشفت والبيطار الاشتراكية في فرنسا. وعندما عدنا كنا متلهفين على ايصال هذه الأفكار الى الجيل الجديد" [1]

وتعلم الطالبان الماركسية بصورة متسامحة على المفكرين الفرنسيين اندريه جيد ورومان رولان. ولكنهما تصادما معها فيما بعد في ١٩٣٦، عندما قامت حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا وقام الشيوعيون بمعارضة الاستقلال السوري.

ونضجت أفكار عفلق والبيطار بعد عودتهما من فرنسا في ١٩٣٤ وكانا قد كفرا بالماركسية تماما، لا سيما بعد "ردة" استاذهما اندريه جيد بعد زيارته للاتحاد السوفيتي. وأصدرا معا مجلة (الطليعة) تبشر باراىٔهما العروبية والاشتراكية والأدبية.وفي ١٩٤٠

(١) باتريك سيل، الصراع على سوريا، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٩٩

اتخذت أفكارهما شكلها النهائي وبدآ في عقد الاجتماعات السياسية واستقطاب الأنصار في الدروس التي أقيمت في المنازل في أيام الجمع واصدرا سبعةكتيبات تشرح خططهما السياسي في ١٩٤١ وتهاجم السلطة الاستعمارية وتدافع عن ثورة رشيد عالي الكيلاني بالعراق. وفي العام التالي استقال الاستاذان من التدريس وتفرغا للعمل الحزبي.

ونسبة لاتجاهات الارسوزي المتعصبة تجاه الالمان فقد رفض ثورة الكيلاني التي قامت ضد الإنجليز أعداء النازيين. وقد رفض الارسوزي نصرة تلك الثورة وأدى تخاذله ذاك إلى أن يرث البيطار وعفلق تنظيمه السياسي ـ حزب البعث ـ لا سيما وان كل أعضائه عدا سامي الجندي ومحسن الشيشكلي، كانوا تلاميذا للبيطار وعفلق في ثانوية دمشق. وهكذا أصبح حزب البعث متوحدا تحت زعامة عفلق وأخذ يشق طريقه بصعوبة وينمو في دنيا السياسة والعقائد التي سبقهم اليها الحزب الشيوعي والاخوان المسلمون.

وفي ١٩٤٣ رشح الأستاذ ميشيل عفلق نفسه في الانتخابات فنال ١٤٥ من أصوات طلاب الثانويات وهو ما كان أكثر قليلا من عدد أعضاء الحزب في ذاك الأوان. وفي العام التالي شن الحزب هجوما كاسحا ضد الماركسيين لأن "الحزب الشيوعي السوري لم يعد سوى اداة تنفيذ في يد ابيه الحزب الشيوعي الفرنسي والحكومة الفرنسية بوجه عام.. ولقد بدأ يجمع أعضاءه من بين الأقليات الطائفية والعنصرية ومن بينهم كل الذين وقفوا ضد القومية العربية" (١)

وحتى عام ١٩٤٥ كان الحزب ما يزال محدود العضوية لا يستطيع طبع بيان إلا بصعوبة كما يعترف بذلك سامي الجندي وأخيرا استطاع الحزب ان يستأجر مكتبا يمارس فيه أعماله بينما كان القطر على أعتاب الاستقلال. وفي ابريل من العام التالي أعلن الحزب دستوره في مؤتمره التأسيسي وخاض انتخابات ١٩٤٧ حيث نال عددا أكبر من الأصوات وكانت الزيادة بقدر كبير لافت للأنظار.

وعندما اندلعت الحرب الفلسطينية واشتعلت الاشتباكات بين

---

(١) ص ٨ من كتاب (القومية) لعفلق والبيطار، نقلا عن باتريك سيل

عصابات الهاجانا اليهودية والجيوش العربية والاخوان المسلمين الذين تدفقوا على فلسطين من مصر وسوريا والأردن، ساعد حزب البعث في المعركة بتحرير المنشورات التي دعت للمظاهرات والاضرابات (واتسم سلوك البعثيين بالحرارة والاندفاع العاطفي. هيمن الشعر على المنطق ولحقت بها القيادة على ان أعضاءها مراسلون حربيون لجريدة البعث فحملوا المسدسات والمناظر المكبرة وآلات التصوير) (١)

.. ويضيف الجندي قائلا: (بقي أن أقول أن الحزب لم يقدم حتى الآن دراسة عن المشكلة الفلسطينية. أعطى مقالات وتصريحات التزامه بها ما زال عاطفيا فوضويا) (٢)

.. وبالطبع فقد ساهم الحزب في ضياع الجولان كما سنعود ونرى في قسم من هذه الدراسة عن خيانة الحزب(القومية)للوطن العربي.

البعث والجيش:

ترجع صلة البعث بالجيش إلى الشاب الحموي أكرم الحوراني الذي تزعم الحزب العربي الاشتراكي بعد وفاة زعيمه عثمان الحوراني. وقد قام أكرم الحوراني بربط الحزب بحزب ثوري آخر يميني هو الحزب القومي السوري الاجتماعي الذي عرف بتشكيلاته شبه العسكرية وبصلته الوثيقة بالجيش واعتماده العمل الانقلابي والذي أدى فشله فيه إلى تدمير الحزب واعدام قادته في لبنان.

ومنذ عام ١٩٤١ بدأت صلة الحوراني بضباط الجيش الذين استقطبهم لنصرة رشيد عالي الكيلاني في العراق. وفي ١٩٤٤ انضم الحوراني إلى ثورة الضباط الشباب ضد بعض الحاميات الفرنسية في منطقة حماه ثم أسس في ابريل ١٩٤٥ الحزب العربي الاشتراكي وأخذ ميولا يسارية تقترب من حزب البعث وتحمل اليه جراثيم العنف والعمل الانقلابي وأخيرا اندمج في حزب البعث الذي أصبح

---

(١) د. سامي الجندي، البعث، ص ٤١

(٢) المصدر السابق ص ٤٩

يحمل منذ ذلك اليوم اسم حزب البعث العربى الاشتراكى.

وعندما قام انقلاب حسنى الزعيم فى سوريا والذى يعترف مايلز كوبلاند عميل الاستخبارات الأمريكية، وصاحب كتاب "لعبة الأمم" بأن الأمريكان هم الذين صنعوه: (كان انقلاب حسنى الزعيم يوم ٣٠ مارس ١٩٤٩ من اعدادنا وتخطيطنا.. اضطلعنا نحن و فى السفارة بمهمة وضع كامل خطته واثبات كافة التفصيلات المعقدة) [١]

.. هذا الانقلاب لم يكن البعث بعيدا عنه حيث يقول سامى الجندى: (منذ بدء ١٩٤٩ أخذ الحزب يمهد لانقلاب عسكرى. لم يكن بعيدا عما يحاك و فى ٢٩ مارس من هذه السنة أطاح الجيش بنظام الرئيس القوتلى وحل قائده حسنى الزعيم مكانه) "ومن يقرأ الكتب الموجهة من قيادة الحزب إلى قائد الانقلاب يلمس احتراما وتفاؤلا كبيرين" [٢]

ومن بين البيانات التى وجهها الحزب تأييدا لانقلاب حسنى الزعيم قول ميشيل عفلق: "أيها الاخوان ليس ما حدث فى سوريا انقلابا وهو فى الواقع خطوة نحو الانقلاب" وهى نفس كلمة بدر الدين مدثر فى ندوة البرارى بعد عشرين عاما من ذلك التاريخ من انقلاب مايو وهى كلمة سنفصلها عندما نأتى إلى تاريخ الحزب ومواقفه فى السودان.

ثم أصدر الحزب بيانا للشعب قال فيه انه: "لا يقنع من الانقلاب بأن يكون نهاية عهد أسود فحسب بل يجد فيه نقطة انطلاق جوهرية نحو الحياة المنتجة" [٣]

وطالب الحزب فى ختام هذا البيان "بتطهير جهاز الدولة و (تصفية بقايا مايو).. من عناصرالعهد البائد وتأمين الحريات العامة و إجراء انتخابات حرة" [٤]

ولم يستجب الزعيم لهذه الوصاية عليه من حزب البعث وكان يدرك أن الحزب يريد أن ينقلب عليه ففضل أن يتغدى به فزج بقادته وكادره فى السجن. وفرّ سامى الجندى، وتزلزل ميشيل عفلق فى السجن. يقول سامى الجندى: (أدرت المذياع فى مخبأى لأستمع إلى نشرة

---

(١) مايلز كوبلاند، لعبة الأمم، دار الانترناشونال سنتر، بيروت، ١٩٧٠، ص ٧٣

(٢) د. سامى الجندى، البعث، ص ٥١ - ٥٢

(٣) نذير فنصة، أيام حسنى الزعيم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٥٢

(٤) المصدر السابق، ص ٥٣

آخبار الظهر واذا بها تبدأ بمذكرة الأستاذ ميشيل عفلق إلى حسني الزعيم التي يتخلى فيها عن السياسة ويوصيه فيها خيرا بشباب البعث العربي. ونشرت بعد ذلك في الصحافة ممهورة بتوقيعه) (١)

.. وفيما بعد شنع صلاح الدين البيطار على عفلق بهذا الاستسلام في أحد المؤتمرات فلم يجد عفلق ردا وأعطى الحزب تعليلات مختلفة ولكنه لم ينف الخطاب ولا التوقيع..

ويقول نذير فنصة عن تلك الرسالة: (كانت رسالة مضحكة أثارت النفور والاشمئزاز. كانت هذه الرسالة أول وصمة عار في جبين العهد الجديد) (٢)

ويقول: (هذا الموقف بالذات هو الذي جعلني استنكر موقف ميشيل عفلق بعد الثامن من آذار اذ رضي هو نفسه المدافع عن الحريات الدستورية وكرامة الانسان، وديمقراطية الحكم ان تكمّ جماعته الرجعية المتسلطة الأفواه وتزج في أعماق السجون كل من يخالفها في الرأي وتقضي على كل أثر من حرية الصحافة والرأي والاجتماع). (٣)

مع السلسلة الانقلابية:

وكما ابتدر حسني الزعيم لعبة الانقلابات العسكرية فقد كان أول ضحاياها اذ انقض عليه أحد رفقائه وهو اللواء الحناوي بعد ستة أشهر وقضى على سلطته كما قضى عليه بعد محاكمة ايجازية سريعة في نفس يوم الانقلاب.

وفي الحكومة المؤقتة التي تألفت بعد انقلاب الحناوي اشترك حزب البعث بزعيمه الذي شغل منصب وزير المعارف. وسال لعاب الحزبين للسلطة وما تجلبه من تسهيلات كانت فيما قبل حكرا على الرجعيين. يقول سامي الجندي: (ذهبت إلى دمشق لتهنئة الأستاذ ميشيل عفلق ودخلت إلى غرفة الانتظار في الوزارة فوجدت المناضلين قد حلوا محل المتنفذين وزعماء الأحياء فملأوها. وشكا لي أمين السر إلحاح الطليعة واستعجالهم وضيق الوقت فعدت دون أن أقابله. وجد نفسه في حرج أكرهه على

---

(١) د. سامي الجندي، البعث، ص ٥٤

(٢) نذير فنصة، أيام حسني الزعيم، ص ١٣٢

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٣

اصدار أمر حزبي يمنع الحزبيين من دخول الوزارة ويطلب منهم ان يراجعوا في مكتب الحزب)[1]

وهكذا كان الحزب فور ان ذاق طعم السلطة مشغوفا باقتناص الفرص لتحقيق المكاسب، بذات السلوك الفاسد الذى أخذوه على الرجعيين والبرجوازيين..

وعندما جاء العقيد الشيشكلى إلى الحكم تسامح كثيرا مع حزب البعث واستغل بعض قادته إلى صف حكمه إلى ان قام بالغاء الحياة النيابية في ١٩٥١/١٢/٢ ثم أغلق صحيفة (البعث)، وقد قاد ذلك الاضطهاد إلى تلاقي حزب البعث بالحزب العربى الاشتراكى حيث تغذت ميول البعث نحو العمل العسكرى. بتشجيع زعيم الحزب العربى الاستاذ الحورانى واندفع الحزب أكثر نحو العمل السرى.

وفي فترة حكم الشيشكلي التى دامت حتى انقلاب النقيب مصطفى حمدون في بداية ١٩٥٤ كان الحزب يعاني في داخله اضطرابا شديدا بسبب الصراع السرى بين أساتذته وقادته: عفلق والحورانى والبيطار. وقد برزت هذه الصراعات الى السطح عندما أعلن عن انتخابات المجلس النيابى الذى رشح له الحزب ثلاثين مرشحا، كان كل اتجاه:(البعث العربى) و (العربى الاشتراكى).. يحاول ان يطغى على الآخر وينال حصة الأسد من الترشيح ثم طغى هذا الصراع على مؤتمر الحزب في ١٩٥٥ ولذلك لم تدون وقائع هذا المؤتمر ولا يشير إليه الآن تاريخ الحزب.

وحتى ذلك الوقت كان تيار البعث قد قوى في داخل الجيش حتى اصبح يشكل حجما معترفا به يوازى بل ويفوق تيار الضباط التقليديين اتباع الشيشكلى. ويبدو أن روح الصراع أو عدم الانضباط قد عدت على تنظيم الحزب في الجيش فقام فريق منه بتدبير محاولة قطنا الانقلابية التى كادت أن تنجح لولا ان قيادة الحزب تشككت في الضباط الحزبيين وتبرأت من تلك المحاولة.

---

(١) د. سامى الجندى، البعث، ص ٥٨

الوحدة مع مصر:

وربما كان أجمل وصف لحالة التخبط التى عاشها حزب البعث فى تلك الفترة ذلك الوصف الذى سجله لهم هيكل فى كتابه: (ما الذى جرى فى سوريا): "وكان هذا الحزب خليطا مشوشا من شخصيات قادته، خليطا مشوشا من أفكار تقدمية على أساس نظرى لميشيل عفلق ومن غرام بالمناورات السياسية والألاعيب الحزبية لأكرم الحورانى، ومن حيرة تائهة شاردة لا تستقر على شىء لصلاح البيطار" [1]

وكان نجم عبد الناصر هو الثاقب فى تلك الآونة التى كان يضطرب فيها البعث ويستجمع فيها عبد الناصر قوته وفكره لا سيما بعد معركة السويس.

وباشتداد الصراع السياسى داخل سوريا بين البعث والحزب الشيوعى وحزب الشعب وبين أجنحة هذه الأحزاب فى الجيش كان الحل يبدو فى تجاوز ذلك كله بالاتحاد مع مصر. فاجتمع قادة الكتل الحزبية فى الجيش وقرروا ان يطيروا فورا إلى مصر ليقدموا اقتراح الوحدة لعبد الناصر. وبالفعل فقد اجتمع وفد الجيش ـ وكانوا ٢٢ ضابطا يقودهم اللواء البرزى يمثلون الكتل المختلفة ـ بعبد الناصر فى يوم ١٥ / ١ /١٩٥٨ وتحدثوا معه عن المخاوف التى تساورهم حول مستقبل سوريا وان الحل الأوحد يكمن فى قبوله اقتراح الوحدة الذى قدموا به.

ولما رفض عبد الناصر اقتراح الوحدة الا ان يأتى من المدنيين اقلع أحد الضباط بالطائرة وعاد ومعه صلاح الدين البيطار وزير الخارجية ممثلا رسميا للحكومة المدنية التى كونها الجيش.. وأعلن البيطار عن طلب الحكومة الرسمى للوحدة مع مصر، فقبله عبد الناصر ولكن بشرط ان تحل الأحزاب جميعا فى سوريا ومن بينها حزب (البعث) فقبل (البعث) الشرط لا سيما وان ممثل الحكومة كان هو

---

(١) محمد حسنين هيكل، ما الذى جرى فى سوريا، الدار القومية، القاهرة، ص ٢٠ ـ ٢١

نفسه ممثل (البعث) الذى قبل الحل.

وقد أثار حل الحزب لنفسه جدلا طويلا واسعا فى الحزب فيما بعد رغم أن الحزب قرر فى مؤتمره القطرى فى ١٩٥٨/٢/١ بالاجماع أمر حل الحزب الذى أرهقهم بما دار فى شعبه من جدال وتشرذم وصراع. وامتدحهم مصطفى أمين بمقال فى "الأخبار" قال فيه: (إن البعثيين قد خلعوا حزبيتهم كما يخلع المؤمن حذاءه على باب الجامع) : ولسنا ندرى ما وجه الشبه ولا صنعة البلاغة فى هذه العبارة إلا إن كانت تحمل فى باطنها تهكما من البعثيين.

وبدلا من أن يؤدى حل الحزب إلى خلاص البعثيين من صراعاتهم اذا بها تتفاقم وتصبح قضية حكومة الوحدة الأولى. حتى كان الرئيس عبد الناصر يصرح قائلا: (كانت الأمور ماشية فى مصر. صرت أقضى ثلاثة أرباع وقتي فى حل المشاكل السورية. كنت اقول يا ربى منين جانى المرض ده) وكان ان انفصمت الوحدة بعد أن عاد البعثيون إلى التنظيم من جديد. وكان ذلك على يد العسكريين الذين قادوا الانفصال فى ١٩٦١/٩/٢٨ بقيادة الكزبرى، ووقعوا وثيقة إنهاء الوحدة، وكان معهم فى التوقيع من زعماء البعث أكرم الحورانى وصلاح الدين البيطار.

انقلابات البعث:

وصمم فريق آخر من السياسيين والضباط البعثيين على إنشاء انقلاب آخر بالتضامن مع بعض الوحدويين لاعادة عهد الوحدة وكان على قيادتهم العقيد جاسم علوان وكانوا على صلة بعبد الناصر الذى أعطاهم إشارة الضوء الأخضر لاحداث الانقلاب.

ومن مدينة حمص انفجر انقلابهم فى ١٩٦٢/٤/٢ حيث انضمت إليهم قوات من حلب واللاذقية والجبهة والسويداء إضافة إلى عمليات شغب شعبى. ولمعت أسماء الرائد البعثى حمد عبيد من حلب والعقيد البعثى لؤى الاتاسى من دير الزور والرائد صلاح جديد من السويداء ولكن انقلب الوضع عليهم فى أثناء التنفيذ بسبب

الخلافات المعهودة ما بين البعثيين وما بينهم وبين الوحدويين.

ولأن الفشل لم ينته بتدمير البعثيين بل ببعض الترضيات لهم حيث أقيل النحلاوى من قيادة الجيش فقد بدأ البعثيون التفكير من أجل محاولة أخرى للانقلاب وتسرب البعثيون العسكريون إلى كافة التنظيمات العسكرية السياسية وعملوا على كشف أسرارها وخططها وتعديل مساراتها حسبما يشتهي البعثيون، وعاد المقدم محمد عمران وهو أحد قادة المحاولة السابقة غير البارزين ليقود عملية الانقلاب الجديدة ولكنه ما عتّم ان سلم نفسه للسلطات فحل محله الرائد صلاح جديد.

وبعد انقلاب البعثيين فى العراق الذى جرى فى ١٩٦٣/٢/٨م أخذ الحكم السورى يهادن البعثيين ويتقرب إليهم وزاد الطين بلة بأن ولاهم بعض المراكز الحساسة آملا أن يكسب رضاهم. ولم يكن ذلك إلا مدعاة لمزيد من نشاط الانقلابيين البعثيين ضد حكم النحلاوى.

وكان من رأى ميشيل عفلق ألا يتسرع العسكريون البعثيون فى الانقلاب حتى يكتمل بناء الحزب. وكان يخشى على مركزه ومركز المدنيين من سيطرة عساكر البعث. وألح كثيرا على التأجيل على الأقل ريثما تتوطد أقدام الانقلاب الذى حدث فى العراق.

ولكن ضاعت هذه الرجاءات أدراج الرياح مع تعطش وتعجل عساكر البعث.. ومع الخيانة التى جرت من الوحدويين على البعثيين وأدت إلى اعتقالات فى وسط الأخيرين فى السادس من مارس ١٩٦٣ إلا أن البعثيين نفذوا تحركهم واستولوا على السلطة فى الثامن من مارس ١٩٦٣ وأعادوا ضباط البعث الستين المفصولين إلى السلطة وبدأ الخلاف حول من يكون رئيسا للسلطة الجديدة.

وبينما رشح المنظر البعثى شبلى العيسمى منظرا آخر من المدنيين ليكون رئيسا وهو صلاح الدين البيطار كان العسكريون البعثيون يرون أن الرئاسة لابد أن تؤول إليهم باعتبارهم المنفذين وحماة الحزب والدولة فآل الأمر إلى الفريق لؤى الاتاسى حيث انتخب رئيسا بالاجماع بينما أصبح صلاح الدين البيطار رئيسا للوزراء.

وذر قرن الخلاف، وشب أواره بين الفئات المتناحرة في البعث والوحدويين. فبعضهم كان يرى أن يعلن الحكم الوحدة فورا. وكان البعض يرى أن تعود الوحدة مع مصر كما كان سالفا، وبعضهم كان يطالب بالاتحاد مع العراق الذى سيطر عليه البعث. وبعضهم كان يصر على التروى والحذر وكل فريق كان يطالب بقسمة أكبر في السلطة ويتهم الآخرين بالتكويش على النصيب الأكبر.

وباستمرار الخلافات تشققت وزارة البيطار، فكلف سامى الجندى برئاسة الوزارة فرشح لها عبد الكريم زهور الذى اعتذر عنها لأن البعث كان يقود - في اعتقاده - اتجاه الانفصال. وأصرت القيادة على سامى الجندى فعمل على تأليف وزارة فما استطاع: (كانت الاتصالات الأولى مخيبة للأمل. لم أتصل بأحد واقنعته إلا وبلغنى اعتذاره بعد قليل).[1]

(كلما اتصلت بمرشح جاءه التهديد فجاءنى متعذرا).[2]

وأخيرا أوكل اللواء زياد الحريرى مرة أخرى تشكيل الوزارة لصلاح الدين البيطار وكان مؤدى ذلك ان يصرف النظر عن أمر الوحدة مع مصر، اذ ان البيطار كان ضمن القادة الذين وقعوا وثيقة الانفصال.

واستثمارا لاحوال الفوضى والتشتت في وسط البعث قام اتباع عبد الناصر بانقلاب فاشل في دمشق في ١٨/٧/١٩٦٣ وسقط فيه ١٧٠ قتيلا ثم فشل ليفتك البعثيون بعد ذلك فتكا ذريعا بالانقلابيين ونصرائهم وبكثير من الأبرياء الذين لم تكن لهم أدنى صلة بالانقلاب.

ولعدم قدرته السيطرة على الأمور حتى بعد سحق الانقلاب قدم الفريق الاتاسى استقالته قبيل المؤتمر القطرى الثانى فرقى الضابط البعثى أمين الحافظ إلى رتبة اللواء وعين قائدا للجيش وسمى لرئاسة الدولة. وازداد التنافس على رئاسة الأركان بين الضابطين البعثيين صلاح جديد والعقيد محمد عمران وفضل اللواء الحافظ صلاح جديد الا ان محمد عمران ظل مقاوما وتفاديا لمقاومته عرض عليه ان يكون رئيسا للوزراء بعد أن سقط صلاح البيطار ولكنه رفض المنصب

---

(١) د. سامى الجندى، البعث، ص ١٢٦

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٧

المدنى حتى لا يفقد مصدر القوة الأساسى فى حكم البعث وهو الجيش. وبعد مناورات حزبية رقى صلاح جديد ليكون فريقا فحبطت خطة عمران التى نفذها بنجاح عندما زور تاريخ ترقيته إلى رتبة اللواء، ليكون سابقا فى كشف الأسبقية على صلاح جديد.

ومرة ثانية عرضت الوزارة على سامى الجندى ليشكلها ففشل وعرضت على أكثر من حزبى ففشلوا جميعا. وفى ظل هذه الفوضى انعقد المؤتمر القومى السادس للحزب فى ١٩٦٣/١٠/٥ فساده الهجوم المتبادل ما بين ميشيل عفلق وصالح السعدى، وتركز الهجوم عنيفا على بعث العراق وعلى ما ساد محاكماته من جور وتعذيب واضطهاد للسياسيين، وتفجرت بذلك أمانى الوحدة ما بين بعث سوريا وبعث العراق.

وبظهور نزعات التسلط والسيطرة على الفريق أمين الحافظ انعقد مؤتمر قطرى استثنائى لتدارك الموقف. وكانت القيادة القطرية تدافع عن نفسها وميشيل عفلق يصب الهجوم الجارف على أعضاء الحزب مطالبا بالعودة إلى صفاء العقيدة والفكر. وما ان تفرق المؤتمرون حتى استعر الخلاف ما بين الفريق الحافظ واللواء محمد عمران بينما اتضح ان صلاح جديد قد أصبح الحاكم الحقيقى. وانتخب مجلس للرئاسة من أجل تحجيم أمين الحافظ ففاز بجانب الحافظ، صلاح جديد ومحمد عمران وأما عندما أجرى الاقتراع على المدنيين فقد فاز بعد أن أعيد الاقتراع أكثر من عشر مرات المرشحين اللذين رشحهما العسكريون وهما الدكتور نور الدين الاتاسى والدكتور يوسف زعين.

وخشية من حملة قد يشنها ميشيل عفلق وشبلى العيسمى فقد قام العسكريون بمجاملتهما بتعيين الأخير إضافة إلى صلاح البيطار ومنصور الأطرش أعضاء فى المجلس بعد أن حل المجلس الذى انتخب قبل يومين فقط.

ومع هذا التدهور فى أوضاع الحزب وقيادته وفى أوضاع الدولة المختلفة انداح تمرد شمل المدن السورية واحدة تلو الأخرى حتى انفجرت أحداث حماه فى ابريل ١٩٦٤. فقابلها البعثيون بعنف وحشى حيث قصفوا حتى المساجد والأسواق ودور العلم.

أحداث حماه:

اشتهر أهل حماه بالحدة والحمية، ولذلك كانوا أشد أهل سوريا مقاومة للبعث.. وكانوا أكثر أهل سوريا تضررا من حزب البعث..

وفي ١٩٦٤ ثار الحمويون انتصارا للدين من مقالة ملحدة لزكي الأرسوزي وصف فيها قصة خلق آدم التي وردت في القرآن الكريم بأنها اسطورة، وذكر ان الجاهلية هي الفترة الذهبية في التاريخ العربي، وكانت هذه الحماقات تتواتر من البعثيين، حيث عملوا على الغاء نظام الأوقاف الاسلامي، والغاء مادة الدراسات الاسلامية في المدارس، ونقل اساتذتها نقلا تعسفيا، والتحرش بالمشايخ والعلماء..

واحتجاجا على تلك الممارسات الاستفزازية اضربت مدارس مدينة حماه، وحاولت الشرطة اعتقال البعض. فانفجرت المظاهرات بقيادة مروان حديد، وقام محافظ حماه عبد الحليم خدام، باستدعاء الجيش الذي هبط المدينة مرددا هتافات معادية للاسلام، ومحقرة لرسوله عليه السلام، وهنا اضربت المدينة كلها اضرابا شاملا استمر لمدى شهر تقريبا، واعتصم بعض الشباب وعلى رأسهم مروان حديد بمسجد السلطان، حيث نظموا مهرجانات خطابية ضد النظام. فما كان من السلطات البعثية إلا ان اقتحمت المسجد بالدبابات وهدمت مئذنته وبعض قبابه، وأصلت المعتصمين بنيرانها، واقتادت الناجين منهم الى السجون.

وتجاوبت بعض المدن السورية مع اضراب حماه، وشاركتها في بعض أيام اضرابها كل من مدن اللاذقية ودمشق، وأخيرا تمكنت السلطات البعثية من ايقاف الثورة بعد ان استجابت لبعض مطالبها وتراجعت عن محاولتها لالغاء الأوقاف والدراسات الاسلامية، وجاءت بوزارة أقل عداءً للاسلام برئاسة صلاح الدين البيطار.

وعندما أصدرت محاكم البعث أحكام الاعدام على بعض قادة ثورة حماه، فرح هؤلاء القادة وهللوا وكبروا معانقين بعضهم بعضا، بينما

هتف الذين لم يحظوا بحكم الاعدام مخاطبين قضاتهم البعثيين،: يا خونة احكموا علينا بالاعدام!! [1]

ولعل هذا الصراع العنيف الذى قاده أهل حماه هو ما قاد البعثيين لمزيد من الاعتماد على الطائفة العلوية، فأنشأوا من أبنائها الحرس القومي الذى أخذ يتطاول على المواطنين من غير العلويين، كما كرسوا غالبية رتب الجيش العليا للعلويين الذين سيطروا بالتالى على أزمّة الحزب والدولة والثروة جميعا فى المجتمع.

وفى ١٩٦٥/٢/٢٣ جرى انقلاب اللواء صلاح جديد على الفريق أمين الحافظ، وانتقلت السلطة نهائيا إلى أيدى أبناء الأقلية العلوية فى الجيش.. وأطيح بميشيل عفلق والقيادة القومية للحزب كما اكتسب الحزب بالاضافة إلى البعد الطائفى الجديد بعدا يساريا متطرفا عرف به صلاح جديد.. وقد تمكن صلاح جديد من سحق محاولة إنقلاب ١٩٦٦/٩/٨ وتبع ذلك إبعاد أبناء الطائفة الدرزية من الحزب والجيش، وكان فى طليعة هؤلاء المبعدين سليم حاطوم وطلال أبو عسلى، ثم عوقب سليم حاطوم من بعد بالاعدام.

كارثة حزيران:

لقد وصف الأستاذ خليل مصطفى، صاحب كتاب "سقوط الجولان"، وهو أحد ضباط استخبارات الجيش السورى قبل وقوع كارثة حزيران، وصف تلك الكارثة قائلا: (إن الذى حصل هو مجال جيد لدارس تاريخ المؤامرات والباحثين عن أسباب انهزام الأمم وانهياراتها، ويشكل معينا قد لا ينضب، لكاتبى قصص التجسس، والمولعين بالكشف عن خفايا أعمال الخيانة الكبرى فى تاريخ الشعوب) [2]

.. ذلك ان القوات السورية لم تأخذ الا وضع المشاهد لا المشارك فى الأحداث، التى اندلعت فى ١٩٦٧/٦/٥، ولم تدخل المعركة إلا بعد

(١) سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٧٦

(٢) خليل مصطفى، سقوط الجولان، دار الاعتصام، القاهرة، ص ٩٦

مرور أكثر من عشرين ساعة على بدء الحرب، ولو دخلت فور وقوع الحرب لكانت قد أصابت القوات الاسرائيلية في مقتل وهي تهاجم سيناء والضفة الغربية، وحتى عندما دخلت القوات السورية القتال، فإنها لم تقاتل قتالا حقيقيا، إلا ما كان من حوداث بطولية فردية لبعض الضباط والجنود، أما الخطة العامة التي اتبعت فكانت تقوم على عدم الرد على العدو، بل كانت تقوم على اساس عدم الصمود والانسحاب من الجولان إلى دمشق..

وقد اعترف محمد الزعبي وزير الاعلام السوري، بهذا الانسحاب، اذ صرح في مؤتمر صحفي في ١٩٦٧/٦/٢٤م قائلا: (ان الجيش السوري صمد لمدة ثلاثة ايام حين هاجمته اسرائيل، إلى ان صدرت له الأوامر بالانسحاب، حين رأت القيادة ان خطة اسرائيل كانت تطويق قطاعات الجيش السوري..) ولكن مصدر الكذب في قوله هذا هو أن أمر الانسحاب كان مسبقا وقد اشاعه الضباط البعثيون، وانسحبوا واذاعوا من المذياع نبأ سقوط القنيطرة بعد سقوطها ب ١٧ ساعة كاملة.. وقد كان محافظ القنيطرة، هو عبد الحليم خدام، صاحب مجزرة حماة ١٩٦٤..

وكان الضباط البعثيون قد بدأوا الانسحاب، متوجهين لحضور اجتماعات الحزب في دمشق وحمص التي جعلوها مقرا لهم ان سقطت دمشق، وقد مكثت قواتهم من بعدهم إلى يوم ١٩٦٧/٦/٩م، وبعدها بدأت في التقهقر، واللحاق بهم، تاركة الأسلحة والوثائق الثمينة والخرائط والأرض نفسها لتقع جميعا في أيدي الأعداء..

لقد كانت تلك الهزيمة خيانة مدبرة ومرتبة، وقد كان البعثيون يظنون في البدء ان بامكانهم التعايش مع اسرائيل، التي قضت في الساعات الأولى للمعركة، على سلاح الجو المصري، وخضدت شوكة النظام الناصري غريم النظام البعثي، وظن البعثيون "ان اسرائيل - من قبل ومن بعد - بلد اشتراكي يعطف على التجربة الاشتراكية البعثية.. وخاصة البعثية العلوية. ويمكنها ان تتعايش وتتفاعل معها لمصلحة الكادحين في البلدين. وقد يكون ذلك منطلقا نحو تسوية نهائية على اسس الأخوة الاشتراكية، ولذا فمن مصلحة سوريا.. مصلحة الحزب ومكاسب الثورة، ان

تكتفي بمناوشات بسيطة لتكفل لنفسها السلامة!" [1]

وكان سفير احدى الدول الكبرى، قد اتصل بأحد كبار قادة حزب البعث، وأخطره بنص برقية عاجلة من حكومته، تؤكد ان سلاح الجو الاسرائيلي، قد قضى على سلاح الجو المصري، وانه لا ينوي ان يَغير على الأراضي السورية، وعرض المسؤول البعثي هذا الأمر على قيادته، وبينما كانت القيادة تتدارس ذلك الامر ، كانت الطائرات الاسرائيلية تدمر مطارات وطائرات سلاح الجو السوري!

وبعد هذه الهزيمة والخيانة التاريخية، لم يعتذر مسؤول بعثي ولم تستقل الحكومة، ولا قيادة الجيش، بل قال وزير الخارجية الدكتور ابراهيم ماخوس: (ليس مهما ان يحتل العدو دمشق، أو حتى حمص وحلب.. فهذه جميعا أراضي يمكن تعويضها، وأبنية يمكن إعادتها، اما إذا قضي على حزب البعث، فكيف يمكن تعويضه وهو أمل الأمة العربية؟ لا تنسوا ان الهدف الاول من الهجوم الاسرائيلي، هو اسقاط الحكم التقدمي في سوريا، وكل من يطالب بتبديل حزب البعث، عميل لاسرائيل) [2]

وأما أحمد السويداني قائد الجيش فقد قال: (إن المعركة لا تقاس نتائجها بعدد الكيلومترات التي خسرناها.. بل بأهدافها وما استطاعت ان تحقق. فقد كان هدف اسرائيل، ليس احتلال بضعة كيلومترات من سوريا، بل اسقاط الحكم التقدمي فيها، وهذا ما لم يتم لها، ولذا يجب ان نعتبر انفسنا الرابحين في هذه المعركة) [3]

وبمثل هذا العهر السياسي كان المتحدثون الأدنى في حزب البعث يتحدثون.. فما ظل البعث باقيا، فإن الأمة في خير وعافية، وفقد كل شيء، بما في ذلك الأرض والشرف، انما هو فقد هين، سرعان ما يعوضه البعث!!

حافظ الأسد:

لقد كان حافظ الأسد، قائداً لسلاح الطيران، إبان حرب حزيران،

(١) سعد جمعه. المؤامرة ومعركة المصير. دار الكاتب العربي، بيروت ١٩٦٩، ص ١١٠

(٢) - (٣) خليل مصطفى. سقوط الجولان. ص ١٩٠

وبدلاً من أن يستقيل أو يحاكم على فضيحة ضرب مطاراته وطائراته، إذا به يصعّد في الجيش، ليقوم بانقلابه الذى سمى بالحركة التصحيحية في تشرين / ١٩٧٠.. ليواصل سياسة تكريس السلطة والثروة للأقلية العلوية، وتعميق سياسة القهر والعنف تجاه المواطنين وغزو لبنان ومواصلة سياسة الاستسلام لاسرائيل.

وقد انصب معظم الاضطهاد والقمع على قادة وأفراد حركة الاخوان المسلمين، الذين نهضوا في ١٩٧٣ يناهضون الدستور العلمانى السافر الذى أجازه مجلس الشعب، لانهاء دور الدين في الحياة السورية السياسية منها والتعليمية والاجتماعية، والذى جعل السلطات التشريعية والتنفيذية، والقضائية كلها بيد رئيس الدولة..

قام الاخوان المسلمون والعلماء ومن ورائهم الشعب بحركات احتجاج ومظاهرات قوية أجبرت السلطات على العدول عن هذه المقترحات الدستورية الخطيرة، فعدلت عنها، ثم انتقمت من هؤلاء العلماء من أمثال الشيخ سعيد حوّى وغيره بإيداعهم السجون لمدد طويلة وصل بعضها إلى حوالى خمسة أعوام، وتواصلت سياسة القمع لتصل إلى مختلف طوائف الشعب الأخرى من غير العلويين. (١)

وفي عام ١٩٧٦م تدخلت القوات السورية في الأراضى اللبنانية، بعد أن فشلت محاولاتها بإستخدام منظمة (الصاعقة) في تدجين الثورة الفلسطينية، وفي ٢٢ / ٦ / ١٩٧٦م تحالف الجيش السورى مع حزب الكتائب لفرض حصار مأسوى على تل الزعتر انتهى بذبح القواعد الفلسطينية التى كانت تعسكر بداخله وتلى ذلك اجتياح مخيم خسر الباشا وكان حصاد ذلك آلاف الضحايا من الفلسطينيين..

وتحالف الجيش السورى مع منظمة أمل لمواصلة مهمة ضرب الثورة الفلسطينية، وعندما غزت اسرائيل الأراضى اللبنانية في ١٩٨٢ وحاصرت مدينة بيروت سكت الجيش السورى ولم يوجه رصاصة واحدة ضد العدوان الاسرائيلى.. وكانت من أقوى حجج بيجن في

(١) سنكرس فصلا خاصا يتناول سياسات القمع تحت عنوان «البعث والارهاب»..

تدميره لمدينة بيروت أن حافظ الأسد دمر فى ١٩٨٠ مدينة حماه وقتل خمسة عشر ألف نفسا ولم يحتج أحد، فلماذا يحتجون عليه فى غزو بيروت التى لم يدمرها كما دمرت حماة؟!

وما يزال النظام السورى منهمكا حتى اليوم فى سياسة إعلاء الطائفية، وإعلان حروب التصفية على الأغلبية السنية، وعلى الحركات الاسلامية، وتشجيع الحركات الارهابية، حتى غدت السلطة البعثية فى سوريا رمزا فى العالم كله على تشجيع الارهاب وانتهاك حقوق الانسان..

الفصل الثالث

«ان ثورة بدأها فيصل بن الحسين، ولورنس العرب لا يمكن الا أن تنجب حسكا وشوكا يدمى الشعب ويجرح الوطن!»

إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري
إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري
إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري
إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري
إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري
إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري

قصة حزب البعث فى العراق

لم تكن القـوميـة غريبة على العراق اذ نثرت بذورها بقايا الثورة العربية الكبرى "ثورة الحسين ـ لورنس" التى اكتفت بالملك الذى نالته هناك على يد الانجليز. وكان الملك فيصل بن الحسين هو راعى هذه المشاعر القومية العلمانية الموالية للانجليز..

وبمجىء زرافـات من شبـاب لواء الاسكنـدرون العـربى الذى استلبـه الأتراك، لمواصلة دراساتهم بالعراق فى أواخر الاربعينات، حملوا معهم أفكـار زكى الارسوزى، وميشيل عفلق مؤسسا البعث. وظلت هذه الأفكـار تختمـر فى أذهان بعض طلاب العراق، وبعض المعلمين، والعاملين فى حقل القانون لا سيما تلك الأفكار الاشتراكية التى أخذت تقترن للمرة الأولى بمفاهيم القومية العربية التى ظلت يمينية الطابع على يد الشريف ولورنس وفيصل وبقية سدنة الانجليز.

ويدعى حزب البعث ان مشاركته فى انتفاضة الطلاب التى جرت، فى بغداد فى اكتوبر ١٩٥٢ كانت أساسية الى حد بعيد».(١)

ولكن هذا الادعاء مشكوك فيه اذ انه حتى ذلك الوقت لم يكن حزب البعث قد تأسس بعد أو ظهر له صدى حقيقى.

وكعادة الحزب فى الظهور بوجه اعلامى فقد اتخذ صحيفة سرية أسماها «العربى الجديد» اصدر منها عددين فى ١٩٥٣ ثم تغير الاسم ليكـون «الاشتـراكى» ليكـون التـركيز أكثر على الفكرة الاشتراكية الطارئة والتى أرادوا ان ينافسوا فيها الشيوعيين، كما نافسوهم كذلك فى استقطاب العاملين.

وفى منتصف الخمسينات أخذ الحزب يدخل فى احتكاكات بالسلطة كان أداتهـا توزيـع النشرات والبيانات السرية التى هاجمت زيارة عدنـان مندريس «الرئيس التركى» لبغداد من أجل ضم العراق الى الحلف التركى الباكستانى.

---

(١) راجع كتاب، نضال البعث، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٠، الجزء الخامس ص ٥ ـ ٧

وشهدت تلك الفترة «ديسمبر ١٩٥٥» انعقاد المؤتمر القطرى الأول للحزب والذي اكتمل به عقد التأسيس، وكان جل المؤتمرين من الطلاب والمعلمين وبعض صغار الموظفين. وقد كانت النظرة الطبقية من التأثير على قيادات الحزب، بحيث رفضوا ضم اى عنصر برجوازى ولو فى القاعدة الدنيا للحزب.

وحينما اكتمل تأسيس الحزب كان العالم العربى يموج بأحداث جسام تطاير منها شرر الثورة الى مختلف الأصقاع. ففتح الحزب عينيه على تطور الثورة الهائلة فى الجزائر، استقلال بعض الأقطار العربية، وتأميم قناة السويس، واحداث العدوان الثلاثى، وكان للحزب فى تأييد هذه الحركات التحررية بيانات كثيرة كتبت بعبارات عربية سقيمة حفلت بها موسوعة «نضال البعث».

وفى العراق كانت الحركة الوطنية تتصاعد ضد الحكم السعيدى الفاسد، وكان نصيب حزب البعث ان يعمل جاهدا لتأليف القوى الوطنية المختلفة لتحقق تجمعا واحدا أسمى «جبهة الاتحاد الوطنى» ضمت الحزب الشيوعى العراقى، وحزب الاستقلال الوطنى، والوطنيين المستقلين بالاضافة الى حزب البعث.

والغريب ان حزب البعث مع ذلك كان يدعى انه انفرد بالعمل النضالى ضد نظام الحكم. ففى تقرير للقيادة القطرية الى القيادة القومية.. يدعى الحزب: «ان المظاهرات التى تقوم فى بغداد أغلبها يقوم بها حزبنا لوحده، اما فى المناطق الأخرى فنشارك فيها بعض الفئات الأخرى. الحزب الشيوعى العراقى ضعيف جدا بحيث لا يستطيع القيام بأى عمل عدا المنشورات، وهكذا يدعى البعثيون انهم استطاعوا ان يفعلوا شيئا عدا المنشورات!

وفى ١٩٥٧ ووجه الحزب باضطهاد عنيف من السلطة أودى ببعض الرفاق الى السجن متهمين بالقاء متفجرات على السفارة البريطانية وتوزيع نشرات سياسية. وفى الانتخابات ضمن «جبهة الاتحاد الوطنى» ولكن بقية أطرف الجبهة فضلت المقاطعة، فطالب حزب البعث بالمقاطعة . الايجابية لا السلبية «كالقيام بالاضرابات والمظاهرات وحرق صناديق الاقتراع» وقد وافق أطراف الجبهة على

هذا الموقف، ولكنهم تراجعوا عنه عمليا فيا بعد. اما حزب البعث فانه قاد حملة استنكار الشعب لهذه المهزلة الانتخابية فدعا للاضراب، وقاد المظاهرات، وألقى المتفجرات في أماكن مختلفة من مدينة بغداد، وحطم صناديق الاقتراع في محلات اخرى من العراق».[1]

وهكذا يعترف الحزب طواعية بأنه قام بحملة ارهاب كان من ضمنها القاء المتفجرات في اماكن مختلفة من عاصمة بلاده.. ولا ندرى بالطبع متى يكون موعدنا مع متفجرات البعث في السودان؟!

وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وتولى عبد الكريم قاسم الحكم، انفرج الوضع فترة على البعثيين، ثم جاءت اتجاهات قاسم الماركسية الشعوبية المعادية للبعثيين والقوميين فضيق عليهم الخناق وسلط عليهم المذابح بواسطة الشيوعيين. وفي ذات الوقت قلب قاسم ظهر المجن للبريطانيين عندما أصدر القانون رقم (٨٠) الخاص بتحديد شركات التنقيب عن النفط في العراق.

وكان من ثمار هذا الاشتراك في هذا العداء ان اتفق البريطانيون مع بعض رؤوس البعث من اجل اغتيال قاسم والاطاحة بحكمه وصرفت السفارة البريطانية في العراق تكاليف ومكافآت محاولة الاغتيال. ولعل مما يؤكد هذه الرواية ما حكاه د. سامى الجندى في كتابه (البعث) حيث يقول:

«في أواخر ايلول سنة ١٩٥٩ زارني شاب عراقي قدم لى نفسه باسم مستعار. قال لى اريد مقابلة العقيد (ط. ص.) قلت له: ولكن لا اعرفه. فأجاب: الأمر هام جدا.

وكان يبدو عليه القلق رغم مظاهر الهدوء.. قال: انا "س" اظنك سمعت باسمي.. قلت: نعم..

قال: انا مكلف بمهمة خطيرة واوصاني الرفاق ألا اكتم عنك شيئا. قررنا اغتيال عبد الكريم قاسم وجئت اطلب المساعدة. وطلب الى ان آخذ رأيك بالموضوع..

قلت: على العكس، هذا موضوع سياسى وعربى وانت مسئول اولا امام القيادة القومية ويجب ان تأخذ رأيها ولا انكر انى شخصيا ضد الاغتيال

---

(١) المصدر السابق ص ١٤

رغم تأكيدى ان قتل عبد الكريم قاسم يبدل كثيرا فى اوضاع العراق. ومن يدرى فقد يكون التبدل لصالح الشيوعيين..

قال: مهمتى ان اتصل بالعقيد "ط.ص" اولا وسأتصل بالقيادة القومية. اتصلت بالهاتف بالعقيد فجاء الى مكتبى وذهب يرافقه (س) وبعد ايام

عاد هذا الى يقول: القيادة القومية تعارض الاغتيال والذى اعرفه ان القيادة القطرية فى العراق مصممة ولا سبيل للتراجع.
بعد ايام سمعت بأنباء الاغتيال وما جر على البعثيين فى بغداد من مشاكل).

وفيما بين فبراير إلى نوفمبر ١٩٦٣، نشر البعث أعنف موجة رعب يشهدها العراق ربما منذ عهد التتار اذ قام الحرس القومي «مليشيات الحزب» بالاعتداء على حياة الناس وحرياتهم وأموالهم وأعراضهم وشرفهم. وذهب الاف الناس ضحية ذلك، ليس من خصوم الحزب وحسب، ولا من المهتمين بقضايا السياسة وحسب، وانما وقع بلاء الحزب عشوائيا على كل الناس. حتى أصبحت بغداد ومدن العراق الأخرى وكأن جيشا همجيا أجنبيا قد اجتاحها ولم يرع لها أدنى حرمة حيث تناثرت الجثث والاشلاء فى أقباء التعذيب الرهيبة وفى الشوراع والميادين العامة، ولم يعد أحد آمنا على ماله أو ذهبه من المصادرة والابتزاز، وجاس مجندو الحرس القومي الحزبيون فى بيوت الناس يقتادون الفتيات إلى اقباء التعذيب حيث انتهكوا أعراضهن وأذاقوهن صنوف العذاب.
وضج الناس بالشكوى والثورة من تصرفات البعثيين وهمجيتهم. فانذر حزب البعث كوادره بالتهيوء لقمع الثورة وضرب الشعب وعقد مؤتمره القطرى الموسع فى يومى ١١ و ١٢ نوفمبر ١٩٦٣م حيث امر بنفى عضوه على صالح السعدى وجماعته ولم يردع أحدا من أعضائه الارهابيين المتمردين على الحكومة وعلى الجيش. وفى يوم ١٣

---

(١) د. سامى الجندى، البعث، ص ٨١ ـ ٨٢

نوفمبر ١٩٦٣م اندفع البعثيون لاحتلال دوائر الحكومة والسيطرة على العاصمة. وقام أحد ضباطهم وهو منذر الونداوى بالتحليق بطائرته العسكرية المحملة بالصواريخ فوق سماء المدينة وانقض بصواريخه على القصر الجمهورى وعلى مقر الانضباط العسكرى واحرق الطائرات الرابضة فى مطار بغداد بينما كانت الاذاعة التى احتلوها تذيع بيانات التأييد التى كان يرسلها الحزبيون.

وفى ١٤ نوفمبر أذاع الرفيقان أحمد حسن البكر وصالح مهدى عماش انه: "بعد الاتصالات التى أجراها الرفيقان أحمد حسن البكر وصالح مهدى عماش، عضوا القيادة القومية، تقرر دعوة القيادة القومية فورا بصفتها أعلى قيادة فى الحزب. علما بأن القيادة القومية ستصل بغداد مساء هذا اليوم" وفى نفس اليوم وصل ميشيل عفلق أمين سر القيادة القومية، واللواء أمين الحافظ واللواء صلاح جديد والدكتور عبد الخالق النقشبندى واجتمعوا فور وصولهم برفاقهم العراقيين للتداول فى أمور الحزب وفى تسيير الوضع الجديد. وذكرت صحيفة الطليعة لسان حزب البعث ان الاجتماع قد أقر وأشاد بالعمل البطولى "الاجرامى" الذى نفذه الحزبيون واعتبره ثأرا لكرامة الحزب ودفاعا عن عقيدته كما أعلن بيان القيادة القومية ان "القيادة القومية اذ تحيى أبناء ثورة ١٤ رمضان المجيدة واثقة ان الأزمة التى اجتازها القطر العراقى أدت بفضل الضباط الحزبيين العسكريين والمدنيين وفضل وعى الجماهير الشعبية الى تمتين وحدة الحزب وشد صفوفه وتقوية التفاف الجماهير حوله وتجدد القيادة القومية عزمها امام الشعب العربى على الاسراع فى تنفيذ مقررات المؤتمر السادس تحقيقا لاهداف أمتنا فى الوحدة والحرية والاشتراكية" كما أعلن بيان آخر إبعاد بعض الحزبيين ونفيهم خارج العراق.

وفيما كان العنف يتصاعد والشعب يجأر بالشكوى كان الجيش يخطط لضرب البعثيين المفسدين. ووضع عبد السلام عارف خطة الجيش، وتجمعت قطع الجيش ووحداته من بغداد وكركوك والموصل حيث أطبقت على فتنة البعث فى ١٨ / ١١ / ١٩٦٣م ومحقتها، وأعلنت حل الحرس القومى واغلاق مقراته والغاء قوانينه، كما أعلنت حل المجلس الوطنى لقيادة الثورة الذى تشكل فى ٨ / ٢ / ١٩٦٣م حيث

تكون مجلس جديد بقيادة المشير عبد السلام عارف.

وبانقلاب عارف تنفس الشعب العراقي الصعداء، وتولت عصابات البعثيين لائذة بالظلام والمخابيء كالخفافيش. وقد اعتقل أكثرهم فيما بعد. وأما فيما يتصل بالقيادتين القومية والقطرية، فقد أرسلت ميشيل عفلق وأمين الحافظ والياس فرح ومنيف الرزاز في طائرة خاصة إلى فرنسا، بينما اعتقل الآخرون وحوكموا إلا انهم أفرج عنهم ليدبروا انقلابا جديدا فيما بعد.

وبعد وفاة عبد السلام عارف تولى الحكم أخوه عبد الرحمن عارف الذي اعتمد في حكمه على عناصر من أمثال عبد الرازق النايف وابراهيم الداوود وحردان التكريتي وطاهر يحيى وكانت في أيديهم ادارة المخابرات وقوات الحرس الجمهوري والقوات الجوية، وبمعاونة المخابرات البريطانية مرة ثانية ابتدأ تآمرهم على حكم عبد الرحمن عارف. وكانت المخابرات البريطانية تفضل التآمر مع حزب البعث بسبب معاداته للحزب الشيوعي وقدرته على إحتواء مدّه الذي الذي بدأ يستشري في العراق، وبسبب عدم معاداة البعث الواضحة للدين مما يمكن لنجاحه أكثر من الشيوعيين العراقيين الذين وصلوا مدى بعيدا في الفجور في خصومتهم للدين. كما ان السفارة البريطانية كانت تقدر للبعثيين خبراتهم الخاصة التي اكتسبوها في مجال الحكم فيما بين ٨ فبراير و ١٨ نوفمبر ١٩٦٣م وكانت تحمل ثقة لا بأس بها في القيادات المسيحية القطرية والقومية لحزب البعث.

وهكذا كان انقلاب ١٩٦٨م الذي تزعمه أحمد حسن البكر ورأس وزراءه عبد الرازق النايف، الذي طرده الانقلابيون بعد مرور اسبوعين فقط على الانقلاب، ليلاحقوه في لندن ويغتالوه هناك.

الصراع والاغتيالات:

تحالف حزب البعث مع فريق من العسكريين، من الاستخبارات العسكرية برئاسة العقيد عبد الرازق النايف، ومن الحرس

الجمهوري بقيادة العقيد عبد الرحمن ابراهيم داوود، وكان النايف وداوود يظنان ان حزب البعث يمكن ان يصبح اداة طيعة في أيديهما بعد تنفيذ الانقلاب كما اعترف بذلك صراحة في تقريره السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن في بغداد في يناير ١٩٧٤م.

وتم تنفيذ الانقلاب في ١٦/٧/١٩٦٨م، حيث قاد كل من أحمد حسن البكر، وحردان التكريتي، وأنور عبد القادر مليشيا من الشبان من الشبان البعثيين المدربين عسكريا، واقتحموا بهم القصر الجمهوري حيث استقبلهم العقيد عبد الرحمن داوود قائد الحرس الجمهوري فاتحا أمامهم الأبواب، ثم طوق القصر الجمهوري وأعلن تحالفه مع الانقلابيين.. وقام الانقلابيون بايقاظ الرئيس عارف من نومه حيث نقلوا له خبر الانقلاب، وطلبوا منه ان يستسلم ويغادر البلاد.. وقد حاول عارف ان يقاوم، واتصل بضباطه الذين كانوا متآمرين ضده مع البعثيين، وأبلغوه بألا جدوى للمقاومة، فاستسلم، وغادر في طائرة هيأها البعثيون لتنقله إلى خارج البلاد.[1]

وتكونت حكومة ائتلافية بعثية / يمينية شكل فيها النايف وداوود كتلة متميزة، تحت رئاسة أحمد حسن البكر البعثي.. وشبت الخلافات مباشرة عقب تشكيل الوزارة، في مجالات التوجه الاشتراكي والوحدة الوطنية والسياسة الخارجية، والقضايا الجوهرية الأخرى، وتفاقمت الخلافات داخل حزب البعث نفسه، اذ اشتد تيار في وسط الحزب ينتقد قيادته التي أشركت عناصر اخرى غير بعثية في السلطة الجديدة، وكانوا يعنون بذلك خاصة عبد الرازق النايف..

وتمكن البعثيون من إعادة الضباط المفصولين من الجيش، وكانوا أكثر من مائة ضابط من البعثيين، كانوا قد فصلوا عقب سقوط حكم البعث في ١٩٦٣.. وبهذه القوة الجديدة ترجحت كفة البعث في الحكومة والجيش رغم ان منصب وزير الدفاع كان من نصيب عبد الرحمن الداوود.. وفي مناورة بارعة تمكن البعثيون من الانفراد

---

(١) راجع تفاصيل الانقلاب في: مجيد خدوري، العراق الاشتراكي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص ٣٨ وما بعدها..

بالسلطة بانقلاب أبيض حيث أرسلوا الداوود فى مهمة إلى الأردن لمدة ثلاثة أيام لتفقد القوات العسكرية العراقية هناك فى ١٩٦٨/٧/٢٩م، مما أخلى المجال للواء حردان التكريتى رئيس الأركان لأن يسيطر كلية على الجيش وليضع يد حزب البعث تماما عليه.

ومن ناحية أخرى أرسل البعثيون إلى عبد الرازق النايف، رئيس الوزراء، لمقابلة رئيس الجمهورية البكر فى ١٩٦٨/٧/٣٠م، حيث قابله بحرارة وتناول معه الغداء، وأجرى معه مباحثات مطولة، ثم دُعى إلى غرفة أخرى، وجد بداخلها أربعة ضباط يقودهم صدام حسين، أشهروا فى وجهه السلاح، وأجبروه على الاستسلام حيث استسلم وأرسل إلى الخارج ثم عين سفيرا ثم احيل الى التقاعد ثم اغتيل.

ولم يسلم حزب البعث من صراعات عديدة بعد ذلك بعضها مع سياسيين قدامى قبل الانقلاب البعثى، وبعضها من كتل مؤيدة للرئيس عارف، وبعضها من ناصر الهانى مستشار البكر للشئون الخارجية الذى خاف الحزب من خطره فاغتاله فى ١٩٦٨/١١/١٢م ثم سار فى جنازته ممثل الحزب حردان التكريتى.. وفى يناير ١٩٦٩م حاكم الحزب عددا من معارضيه بعد ان اتهمهم بالتجسس لصالح اسرائيل.. وكان على رأس هؤلاء عبد الرحمن البزاز، الذى كان رئيسا سابقا للوزراء «فى عهد عارف» وعبد العزيز العقيلى الذى كان وزيرا للدفاع فى عهد عارف وخليل كنة وزير التربية والتعليم فى عهد نورى السعيد.. واتهم هؤلاء كذلك بالتنسيق مع الأكراد من أجل الاطاحة بحكم البعث وإنشاء حكم ديمقراطى برلمانى معتدل..

وحوكم عدد كبير من أتباع هؤلاء الزعماء بالاعدام بينما حكم على عبد الرحمن البزاز وعبد العزيز العقيلى بالسجن، وافرج عن البزاز ليتعالج من التعذيب ومن المرض، وعندما خرج من السجن لم يكن به عضو سلم من الكسر الا اصبعه يشير به..

وعمل الحزب لتأمين نفسه ضد أعدائه لتحقيق صلح مع الأكراد بقيادة الملا مصطفى البرزانى، فانعقدت هدنة معه فى ١٩٧٠ حيث اعطى الحكم الذاتى ولكن انهارت هذه الهدنة فى ١٩٧٢م، فلجأ البعث

عنـدذاك للتحـالف مع الحـزب الشيوعى العراقى فى إطار ما سمى بالجبهة الوطنية التقدمية. وفى خلال فترة الهدنة مع الأكراد وقعت محـاولة انقلاب خطرة نفذها من داخل الحزب وخارجه اللواء عبد الغنى الراوى، والعقيـد صالح مهـدى السـامـرائى وقـد أحبطت المحـاولة فى ٢١ / ١ / ١٩٧٠م، وشكلت محكمـة عسكرية برئاسة طه الجزراوى عضو مجلس قيادة الثورة، وعضوية ناظم الكازار قائد الشرطة وعلى رضا مدير العلاقات العامة بمجلس قيادة الثورة.. وقد قضت المحكمة باعدام ١٨ عسكريا و ٤ مدنيين، فى نفس يوم الانقلاب، ونفذ الحكم فى اليوم التالى.. كما أعدم فى وقت لاحق ١٥ شخصا

وفى داخـل حزب البعث، وداخـل قيادته العسكرية نشب صراع عنيف بين اللواء حردان التكـريتى، رئيس الأركـان، واللواء صالح مهدى عماش، وزير الداخلية، وكان التكريتى، وهو من نفس منطقة الرئيس البكر، قائدا لسلاح الجو العراقى أيام انقلاب البعث الناجح فى ١٩٦٣م، واستنـادا إلى خلفيتـه الطائفيـة وتجـربتـه الانقلابية السابقة، أخذ يرنو إلى منصب رئاسى أعلى.. أما صالح مهدى عماش فلم يكن أقل تطلعا من حردان، كما كان يستند إلى تاريخه القديم فى حزب البعث، الذى انتمى اليه منذ ١٩٥٦م..

وإلى جانب كل من حردان وعماش تجمع أنصار وسياسيون من الجيش والشرطة والمـدنيـين، وسرت شائعة بأن البكر سيتخلى عن رئاسة الوزارة لعماش فضغط حردان بأنصاره من أجل الا يتم ذلك، فنص دستور ١٩٦٩م على أن يتولى رئيس الجمهورية رئاسة الوزراء، ثم رقى حردان وعمـاش إلى نائبـين لرئيس الجمهـوريـة وجردا من سلطتيهما الحساستين فى الدفاع والأمن، ثم أعفى حردان من مركزه كنائب لرئيس الجمهورية، بينما كان فى مهمة رسمية إلى اسبانيا فى ٧ / ١٠ / ١٩٧١م، واحيل إلى المعاش، وعين سفيرا فى المغرب..

تجاهل حردان امر التعيين الجديد، وعاد إلى بغداد، مستندا إلى مركزه ونفوذه وسط الجيش، ولكنه أبعد عن بغداد فور وصوله اليها، إذ وجد طائرة فى انتظاره نقلته إلى الجزائر حيث قضى ٦ أشهر ثم انتقل

إلى الكويت حيث اغتيل بينما كان يهم بدخول المستشفى الحكومى هناك..

وبسقوط حردان من السلطة بدأ أفول نجم العسكريين الحزبيين، بينما بدأ تصاعد نجم المدنيين الحزبيين، ثم ازدادت سلطة الحزب على الجيش، بعد ان طرد اللواء عماش وأحيل الى السلك الدبلوماسى فى ١٩٧٣م.

وكان ناظم الكازار أحد أبشع رموز السلطة البعثية، وأكثرهم عدوانا على خصوم الحزب، وكان يرتقى سلم السلطة بسفكه لدماء أعداء الحزب من الأكراد والناصريين والشيوعيين والبعثيين المنشقين، مستغلا سلطاته كمدير للأمن العام استغلالا كريها أثار عليه حتى قادة الحزب. وقد اغتال عددا كبيرا من خصوم الحزب، وفشل فى محاولتين لاغتيال الزعيم الكردى البرزانى فى عامى ١٩٧١، ١٩٧٢م. وفى ١٩٧٣/٦/٣٠م حاول اغتيال رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر، الذى كان عائدا من رحلة إلى بولندا.

دعا ناظم الكازار وزيرى الدفاع والداخلية، حماد شهاب وسعدون غيدان لتشريف المركز الالكترونى الذى اعده للتجسس ومكافحة التجسس فى إحدى ضواحى بغداد، وهناك اعتقلهما، ثم ارسل عددا من أتباعه العسكريين لاغتيال البكر فور هبوط طائرته فى مطار بغداد.. وقد فشلت العملية كلها بتأخر وصول طائرة البكر، وانصراف العسكريين المكلفين بالاغتيال، ظنا منهما ان المؤامرة قد كشفت.

قرر الكازار الهرب من البلاد، مصطحباً معه الاسيرين شهاب وغيدان، ولكن الجيش لاحقه واعترضته الطائرات واعتقلته ولكن بعد ان قتل الفريق شهاب، واصاب غيدان بجرح بليغ.. ثم شكلت له محكمة ترأسها عزت ابراهيم الدورى قضت فى ١٩٧٣/٧/٧ بإعدامه مع عشرين ضابطا آخرين ونفذ الحكم فى اليوم نفسه، ثم حكمت المحكمة فى اليوم التالى على ١٢ شخصا آخرين بالاعدام من بينهما عبد الخالق السامرائى، ومحمد فاضل عضو القيادة القطرية لحزب البعث

وبفشل مؤامرة الكازار صفى تماما نفوذ العسكريين، وصعد صدام حسين الى القيادة منتصرا للجناح المدنى، حيث اصبح رجل العراق القـوى، الذى بطش بكل من عارضه، وتمكن من ابعاد الجيش عن أمور السياسة ليتفرغ لقضايا الامن والدفاع .. ثم تمكن اخيرا من ابعاد احمد حسن البكر آخر رموز الجيش فى قيادة البلاد» [1]

الحرب العراقية الايرانية:

لا شك ان الحرب العراقية الايرانية هى احد اقوى دلائل الانحطاط والتمزق فى العالم الاسلامى، الذى كان بحاجة الى مزيد من الاتحاد والوئام لمعالجة مشاكله المتجذرة .

لقد حلت اتفاقية إعادة تثبيت الحدود بين إيران والعراق، والتى انعقدت فى الجزائر فى ١٣/٦/١٩٧٥م ، مشاكل الحدود التى تأزمت بين البلدين لمدى أكثر من أربعين عاما، وقد وقع على الاتفاقية كل من عباس على خلعتبرى وزير خارجية ايران، وسعدون حمادى، وزير خارجية العراق، الذى علق عقب إمضاء الاتفاقية معبرا عن انه لم يعد ثمة أمر غير طبيعى يشوب العلاقة بين العراق وايران.

غير ان العراق ما عتم، عقب وقوع الثورة الايرانية، ان اعلن أن موقفه فى ١٩٧٥م لم يكن سوى انحناءة مؤقتة للعاصفة الايرانية التى كانت تشكل خامس القوى العسكرية فى العالم، والآن وبعد أن أكمل العراق استعداداته العسكرية، ودب الضعف فى العسكرية الايرانية وفى الأوضاع السياسية والأمنية الايرانية بالاضافة إلى حالة الحصار الدولى، فليس على العراق إلا أن يعلن نقض اتفاق الجزائر من جانب واحد، من أجل ان يستعيد حقه فى شط العرب، ويعيد الجزر العربية التى اغتصبها الشاه دونما سند قانونى أو تاريخى..

---

(١) سنستعرض مزيدا من أحداث التآمر فى فصل قادم عن حزب البعث والحرية .

وفي ٢٢ / ٩ / ١٩٨٠م[1] اندلعت الحرب بين الفريقين بدءاً من الجانب العراقي، الذي اجتاح الأراضي الايرانية، ثم أعلن صدام حسين بعد ذلك (ان العراق مستعد لايقاف القتال اذا التزم الجانب الآخر بهذا النداء المخلص عن طريق إقرار حقوقنا المشروعة. كما اننا على استعداد للتفاوض مع الجانب الايراني بصورة مباشرة، أو عن طريق طرف ثالث، أو منظمة دولية للوصول إلى حل عادل)[2]

وأعلن نائب رئيس الوزراء العراقي، طارق عزيز، في مؤتمر صحفي (أن العراق لن يوقف القتال للتفاوض الا اذا اعترفت ايران اعترافا صريحا وقانونيا وفعليا، بحقوق العراق التاريخية على أرضه وفي مياهه)

ورفض الجانب العراقي اى وساطة من جانب العالم العربي، باعتبار أن العالم العربي كله نصير للعراق، ورفض الايرانيون اى وساطة من أي نوع، فما كان من صدام حسين الا ان أعلن أن ناشد «الشعوب» الايرانية بالتخلص من قيادتها وأبدى استعداده لوضع يده في يد المعارضة[3] الايرانية لتطيح بالوضع الثورى الجديد.. ومن ناحية أخرى زعم ميشيل عفلق، زعيم القيادة القومية، في خطاب له بمناسبة تأسيس حزب البعث، أن الحزب مسؤول عن تحديد المسار الجديد للشعب الايراني، وتخليصه من العقلية الخرافية التى باتت تحكمه الآن..

وبعد عامين من اشتعال الحرب، أصبح وضع الجيش العراقي، شبيها بوضع الجيش الصومالي، الذى احتل الأوغادين ثم تقهقر سريعا عنها.. فقد انقلبت كفة ميزان القتال، ليسجل الايرانيون تفوقا واضحا في المعارك تعدوا به الوضع الدفاعي والتحريرى، إلى الوضع الهجومي الذى اجتاحوا به مساحات واسعة من أرض العراق، وهددوا مدنه الكبرى، وتمادوا في اصرار عنيف على الحرب، مواصلين الهجمات الرئيسية الضخمة مرة أو مرتين كل عام، رغم آلاف الضحايا التى يبذلونها في هذا السبيل..

---

(١)، (٢) مجلة «الحوادث» بتاريخ ٣ / ١٠ / ١٩٨٠م

(٣) مجلة الحوادث ١٧ / ٤ / ١٩٨١م

وربمـا لا يعنى وقف إطلاق النار الحالى، استمرارا للنظام البعثى الذى تدل كافة الاشارات، الى انه ذاهب لا محالة الى مزابل التاريخ، بعد أن أخـذ فرصـة طويلة فى التجـربـة، فلم يفد منها الا هذا التحرش المتعطش لسفك الدم المسلم، فى حقد يشبه حقد عداة الاسلام على مر العصور.

الفصل الرابع

لقد غذى بعثيو السودان نظام النميرى القهرى، بالدعم التنظيمى والفكرى، كما سخفوا نظام الأحزاب، وسخفوا الحرية، وأخيرا شرعوا مبدأ الاغتيال السياسى...

من ملفات حزب البعث بالسودان

مثلما تزعم أحد أحفاد الثائر الجزائرى المسلم عبد القادر الجزائرى الحركة الشيوعية المارقة فى الجزائر فقد تزعم أحد أحفاد الخليفة عبد الله التعايشي حركة حزب البعث فى السودان.

كان الأستاذ محمد سليمان الخليفة عبد الله قد تلقى دراساته فى دمشق عند سيطرة الحزب على السلطة هناك، قبل سيطرة الطائفة العلوية النصيرية العسكرية على الحزب وطردها القيادة القومية. وتشرد محمد سليمان الخليفة عقب ذلك الانقلاب، وأتى يبشر بفكره القومي الممزوج بالاشتراكية شبه الماركسية فى السودان.

وفى جامعة القاهرة ـ فرع الخرطوم، تكونت أولى حلقات حزب البعث بالسودان فى ١٩٦٠م، تحت مظلة «الطليعة التقدمية العربية» التى انقسمت إلى اتجاهين، تبع احدهما الخط الناصرى، وتبع الآخر الخط البعثى، وتراشق الصفان الاتهامات حيث اتهم البعثيون الناصريين ـ الذين اتخذوا اسم القوى الوحدوية الاشتراكية، بأنهم ينقلون «محاولات التخريب الفاشلة فى العمل العربى الثورى من قطرنا، إلى محاولة تخريب الوحدة الوطنية، والنضال الطلابى ضد حزب الأمة والاخوان الفاشست، ولهذا فإن واجب الطليعة يحتم عليها كشفهم وتعريتهم أمام الجماهير» [1].

واتخذ البعثيون اسم الطليعة التقدمية العربية لتنظيمهم فى جامعة القاهرة ـ فرع الخرطوم، حيث ساعد هذا التنظيم بعض طلاب

---

(١) راجع سجل هذه الاتهامات فى كتاب محمد ابو القاسم حاج حمد. السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل، دار الكلمة، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤٥٠ وما بعدها

جامعة الخرطوم على تكوين تنظيم بعثي آخر باسم «الاشتراكيون العرب».. وكانت تنظيمات بعثية أخرى قد نشأت في مدرسة وادى سيدنا الثانوية باسم «القوميون العرب»، وفي مدرسة النهضة الثانوية بالأبيض بنفس الاسم.. وانشأ بحار عراقي بعثي منظمة بعثية في مدرسة بورتسودان الثانوية، وزود أعضاءها بانجيل البعث المسمى «في سبيل البعث» من تأليف ميشيل عفلق..

وسنرى فيما بعد أن الحزب كان يفضل أن يظهر من خلال واجهات أخرى غير اسمه الحقيقي، حيث لم يعلن عن اسمه الا في أواخر السبعينات.. بسبب خوف الحزب مواجهة الشعب لأسلوبه الانقلابي الارهابي الذى ظهر به في انقلابات الستينات التى جرت باسم البعث في سوريا والعراق والاردن وغيرها.

وكان في زعامة هذه الخلايا البعثية أسماء من شاكلة شوقي ملاسي وبدر الدين مدثر وسعيد حمور ومحمد على بابكر واسحق شداد وعبد الحكم أحمد ومحمد على جادين والصادق الشامي.. وتزعم الحزب لأول انشائه محمد سليمان الخليفة، وكان ممثله لدى القيادة القومية لحزب البعث بزعامة ميشيل عفلق في العراق. وظل الحزب منذ نشأته محظيا برعاية تلك الزعامة الكنسية المشبوهة المتربعة على عرش هارون الرشيد.

في عهد عبود:

وطوال عهد النضال الشعبي والطلابي ضد نظام عبود لم يسمع لحزب البعث أثر لنضال حقيقي. فقد كان الحزب في دور الانشاء والتكوين كما لم يكن خرج من محيط الجامعات إلى الحياة العملية بعد. ولذلك اكتفى بالدروس الداخلية والاعداد الحزبي واصدار بيانات خافتة باسم المنظمات الواجهات التى كان يتستر خلفها. وأكثر من ذلك فقد دعا البعثيون الحزب الشيوعي للانسحاب من الجبهة الوطنية التى تأسست لمواجهة نظام عبود، وذلك قبل ان ينسحب

الحزب الشيوعى لأسبابه الخاصة عندما قرر ان يتحالف مع نظام عبود.

أما ثورة اكتوبر التى فجر شرارتها اتحاد طلاب جامعة الخرطوم والذى كان يقوده الاتجاه الاسلامي، وكان للبعثيين عضو واحد بمجلسه الاربعيني فاز بالتمثيل النسبي الذى كان نظاما متبعا انذاك [١]

ولم يكن لهم عضو بلجنته التنفيذية، فلم يكن للبعثيين رأى واضح حول خطواتها. وفى ابان احتدام النقاش حول إقامة الندوات أو الخروج فى التظاهرات واختلاف وجهات النظر بين معسكرات الطلاب ما بين الاتجاه الاسلامي، والجبهة الديمقراطية، والمؤتمر الديمقراطي الاشتراكي والطلاب الأحرار، لاذ البعثيون بالصمت فى انتظار ان تنجز الثورة بلا خسائر من جانبهم. وان كان ثمة انتصار فسينقض عليه الحزب ويختطفه بعد ان يدفع الآخرون الثمن.

وهكذا ظلوا غائبين عن المشاركة حتى اللحظات الأخيرة «وفيما بعد ادعوا ان أحد أعضائهم أصيب برصاصة فى المظاهرات أدت إلى استشهاده بعد ثلاثة عشر عاما فى ١٩٧٧م». وربما كان البعثيون ضالعين مع الشيوعيين فى افتعال ليلة المتاريس عندما اذاع فاروق ابو عيسى من الراديو بيانا فى ٩/ ١١/ ١٩٦٤م يعلن فيه ان ثمة تحرك عسكرى يكاد يطيح بسلطة اكتوبر الثورية. وقام شوقى ملاسى بمخاطبة الجماهير بدوره فى دور السينما بهذا الأمر، فهبت الجماهير وأقامت المتاريس فى الشوارع وتبين أن الأمر كله هراء فى هراء، عندما أذاع خلف الله بابكر وزير الاعلام بيانا أكد فيه عدم صحة ما أذاع أبو عيسى من بيانات.

وعلى كل فربما كان البعثيون يخططون مع الشيوعيين لاحداث انقلاب بواسطة بعض الضباط اليساريين «نميرى وحمد الله.. الخ» أو ربما انساقوا بخديعة الشيوعيين لا سيما وأن الواقعة التى رواها ملاسى تقول أن أحمد سليمان عضو الحزب الشيوعى القيادى فى ذلك

---

(١) راجع أحمد محمد شاموق، الثورة الظافرة، دار الفكر، الخرطوم، ١٩٦٩، ص ٩٤ وما بعدها.

الحـين قد استغفله أثناء أدوار المؤامرة وأفلت منه بعد ان استخدمه لقضاء مأرب ما.

وقـد كان للدكتـور التـرابى دور مبـادر فى ابطال تلك المسرحية المفتعلة عندما أكد انها مكيدة شيوعية للاستيلاء على السلطة، ونبه الجماهير إلى التضليل الذى انطلى عليها. وبذلك فسدت خطة اليسار الانتهازية مما حدا بفاروق ابو عيسى لأن يفتعل مشاجرة مع الدكتور الترابى كاد ان يخنقه فيها بيديه على طريقة اليسار البربرية. (وهذه الرواية أيضا لشوقى ملاسى).[1]

وربمـا كان تدخـل الدكتـور التـرابى هذا هو أحد أسباب حقد البعثيـين القـديم على الدكتـور. وربمـا لهـذا السبب أدانوا حركة الاخـوان المسلمـين (حيث أصبحت هذه الحـركـة بشكـل واضح وصريح احتيـاطى الرجعيـة المحليـة والعـربية وفرقة صدامها الأولى مع قوى التقدم والديمقـراطية.. وقد برز دورها التخريبى هذا خلال ثورة اكتوبر ١٩٦٤م وفى الفترة التى اعقبتها بشكل خاص) [2]

فى عهد اكتوبر

ولاذ حزب البعث بأجحاره بعد ثبات الثورة وقيام الانتخابات. ولم يتعرض للضوء إلا فى الجامعات تحت اللافتات الخادعة والعلاقات المستتـرة لا سيما ان سمعة البعث كان على أشد أحوالها سوءاً فى العـالم العـربى فى تلك الأوقـات التى شهـدت صراعهم مع القوى العربية الأخرى، وشهدت صراعهم واقتتالهم فيما بينهم إلى حد الموت وبخاصة فى سوريا والعراق.

وقد جاء فى تحليل حزب البعث الذى أصدره فى نوفمبر ١٩٦٤م بعد أن فشل فى الاستيلاء على السلطة، ان قيادات ثورة اكتوبر لم تكن ناضجـة و لا ممثلة للشعب، وانمـا هى فقـط «عناصر من البرجوازية الصغيرة البيروقراطية المثقفة، وكان انتقادهم لجبهة الهيئات التى تولت الدعوة

(١) فى مجلة «الدستور» بتاريخ ١١/١١/١٩٨٥م

(٢) البعث وقضايا النضال الوطنى فى السودان، دار العروبة بلندن، ص ٥٥

للاضراب السياسى متوجها إلى عدم قدرتها لتحويل هذا الشعار إلى ثورة ديمقراطية وتقدمية حقيقية، على صورة الثورات التى تمنع الحرية والتعبير عن الرأى وتنشر القتل والفزع والارهاب ولذلك شجب تقرير البعث اتجاه الجبهة إلى التفكير الوسطى والليبرالى» [1]

ومن مآخذ البعثيين على سلطة اكتوبر انها لم تصعد الصراع الاجتماعى الطبقى بين الجماهير.ومن مآخذهم على القوات المسلحة ان جهازها «كان يقف إلى جانب قوى الردة المضادة للثورة وذلك لطبيعته البيروقراطية والمحافظة، والذى لم تستطع جماهير اكتوبر من تطهيره» [2]

وأكثر من ذلك حظى نظام التعددية الحزبية البرلمانية الذى طالبت به الجماهير فى ثورة اكتوبر وتحقق بهذه الثورة حظى بهجوم غريب من البعثيين.وقد اعتبر الحزب هذا النظام اسلوبا للثورة المضادة لتحويل ميزان القوى لصالحها ولاجهاض ثورة اكتوبر اذ «تمسكت القوى التقليدية بالديمقراطية البرلمانية باعتبارها النظام الأمثل والهدف المباشر لثورة اكتوبر وذلك فى وجه تطلع الجماهير إلى نظام ديمقراطى جديد يفسح المجال أمام مشاركتها الفعلية فى الحكم وساعدها فى ذلك المناخ الليبرالى السائد فى أوساط الجماهير والمثقفين بشكل خاص».ولم يفصل لنا البعثيون بعد ادانتهم لنظام التعددية البرلمانية، ملامح النظام الديمقراطى الجديد الذى يدعو إليه ولكننا نعرف حتما بعض ملامحه المتمثلة فى نظامى البعث فى سوريا أو العراق..

واذا كان هذا هو رأى البعث فى ذلك الوقت فى النظام البرلمانى فان رأيه فى الأحزاب كان أسوأ بكثير .. فحزب الأمة كان يمثل فى اعتقادهم «قوى التخلف شبه الاقطاعية والتقليدية».. وقيادة الأنصار هى «القوى شبه الاقطاعية والبرجوازية التقليدية» ولم تنج من هجوم البعثيين «قيادة الوطنى الاتحادى التى ترتبط بالدوائر المختلفة من البرجوازية التجارية». وقد اتهم البعثيون هذه الأحزاب خاصة بالارتماء فى احضان الاستعمار الجديد الامريكى والألمانى الغربى بوجه خاص [3]

---

(١)، (٢) المصدر السابق، ص ٦٩

(٣) ص ٥٦ ـ ٥٨ ـ ٨١ ـ ١٢ على التوالى من المصدر السابق

وبالجملة فقد كان البعثيون بوقا من أبواق التشكيك في الوضع الحر الليبرالي الذى أعقب ثورة اكتوبر. وكانوا دعاة إلى شكل جديد من العمل الجبهوى وسط أطراف الحركة اليسارية وانتهزوا فرصة انعقاد المؤتمرالوطني للدفاع عن الديمقراطية الذى أعقب حل الحزب الشيوعى ليطوروه إلى جبهة تضم فصائل اليسار المختلفة وتخطط لمواجهة اليمين الذى كان يقود السلطة.

البعثيون ومايو:

ويبدو ان عدم ثقة الشيوعيين في البعثيين أدت إلى عدم قيام تلك الجبهة المنشودة. كما أن البعث لم يكن من الكفاءة الفكرية أو التنظيمية بحيث يحقق تلك الخطوة. وظل البعث ينادى بتلك الجبهة ويهاجم حكم الأحزاب ويطالب بالنظام الشمولى إلى أن وقعت كارثة مايو ١٩٦٩م فبادر البعث إلى تأييدها فورا باعتبارها اكتساحا للنظام البرلماني الذى ظل يناهضه طوال الوقت.

وعند قيام مايو هلل البعثيون بجناحيهم «السورى والعراقى» تهليلا شديدا ورحبوا بكبتها للحريات والغائها الدستور وحلها للأحزاب. وتجرأ بعثى صفيق يتبع للجناح السورى يسمى محمد أبو القاسم حاج حمد فألف كتابا نشر بعد أقل من شهرين من قيام مايو سماه [الثورة.. والثورة المضادة في السودان]، نشرته له سلسلة المفكر العربى اليسارية وقد أجرى هذا البعثى مسحا سريعا للقوى السياسية في السودان ومدى قدرتها على تشكيل معارضة أو ثورة مضادة للنظام الجديد في السودان.

والواقع أن محمد أبو القاسم حاج حمد حاول أن يستبق الزمن ليكرس نفسه مفكرا أول لحركة مايو. وليكرس فكره لسدانة مايو وحمايتها من قوى الثورة المضادة ويتضح ذلك في مقدمته الأدبية المتفلسفة التى نص فيها ان:(الجميع في السودان وخارجه قد كشفوا على بياض اسنانهم اما مستبشرين واما مكشرين. والمهم ان نقيم قدرة المستبشر في حفظ الثورة وبناء نظامها، وكذلك قدرة المكشر على افتراسها ووضع العقبات

الممكنة امام مسيرتها، فمايو وجد ليؤكد الوجه التقدمي للسودان)[1].

وبناءً على ذلك فقد أعد الكاتب نفسه للتبشير بوحدة القوى اليسارية لحماية مايو، كما أعد نفسه ككاتب تقارير ومعلومات تشبه إلى أقصى حد تقارير مكاتب المخابرات الرسمية ليهدى هذه المعلومات لمايو لتحمي بها نفسها ضد ما سماه بقوى الثورة المضادة.

وفي تحليلات محمد أبو القاسم حاج حمد لقوى الثورة المضادة لمايو يؤكد ان اضلاعها تتكونَ في «شمال السودان من الأحزاب الرئيسية الثلاثة التي نمت جذورها عبر المراحل التاريخية المختلفة من تطورنا الفكري والاجتماعي بالاضافة إلى حركة الاخوان والتجمعات الاقليمية ذات النفس اليميني» [2]

ووصف الحزبين الطائفيين بأن كلا منهما «يقوم على أسس من العلاقات العشائرية الريفية المختلفة، التي تفاعل فيها التخلف مع الدين».[3]

وان كان قد حاول ان يدافع في هامش الكتاب عن حزب الشعب الديمقراطي واصفا اياه بأنه كان يتمتع بولاء لحركة الواقع العربي والقضايا القومية «ملحوظة: والد الكاتب كان من قيادات هذا الحزب، وأما الحزب الوطني الاتحادي فقد اكتفي بوصفه انه [حزب البرجوازية الوطنية، وقد تعاظمت قوته بتعاظم قوة البرجوازيين الوطنيين الذين تكونوا ضمن مجالات الاستثمار الاقتصادي الاستعماري] [4]

وفي نهاية تحليلاته التي قدمها لنظام مايو حمل لهم التأكيدات الكافية على أن هذه الأحزاب الثلاث لا يمكن ان تحرك جماهيرها ضد مايو. لأنها لم تفعل شيئا من أجل هذه الجماهير ولأن الريف قد كسبته نهائيا ثورة مايو. واستبعد كثيرا قيام الأنصار بثورة مضادة لمايو قائلا «وكم هو موقف مخيف ذلك الذي تتخذه الصحف اللبنانية بتركيزها على

---

(١) محمد أبو القاسم حاج حمد، الثورة والثورة المضادة في السودان. دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٩م، ص ٩

(٢) المصدر السابق، ص ٦٣

(٣) المصدر السابق، ص ٦٤

(٤) المصدر السابق، ص ٦٦

احتمال قيام الأنصار بثورة مضادة متجاهلة حقيقة واقعية صغيرة تتلخص فى تفكك الأنصار وسقوط هيبة المركزية بعد مطاحنات الانقسامات بالاضافة الى ان قاعدة الأنصار الموالية لا تشتمل حاليا الا على من تجاوزوا سن الخمسين أو الستين»[١]

وبالطبع فقد حدثت ثورة الجزيرة ابا بعد ذلك بأشهر معدودات ففشلت تأكيدات الكاتب وتحليلاته التى قدمها للنظام المايوى.

وأما الجهة الوحيدة التى رشحها الكاتب للعمل ضد مايو فى شمال السودان فكانت حركة الاخوان، كما رشح بعض «الأقليات الشاذة» ـ كما أسماها ـ ولعله يقصد حركة الانفصاليين فى جنوب السودان والتى كتب عنها فصلا كاملا فى الكتاب.

يقول الكاتب عن هذه القوة المرشحة لقيادة الثورة المضادة لمايو «تبقى فى حسابات الثورة المضادة بعد ذلك حركة الاخوان أو جبهة الميثاق، ولعل التركيز نابع من أخذهم بالوسائل الحديثة فى التنظيم والعمل وما يتبع ذلك من انضباط وقدرة على الحركة السريعة المضادة وبالفعل فقد حركوا قواهم بشكل فورى لمعارضة السلطة بعد اعلان البيان الأول مباشرة».. وقد عاد بعد هذا التحذير من حركة الاخوان، لتحليلات ساذجة لجذور الحركة ومكوناتها وعلاقاتها مستخلصا نتيجة مؤداها ان هذه الحركة أضعف من أن تقود ثورة مضادة بالسودان الا اذا غيرت تكتيكاتها واستراتيجياتها.

وبدر الدين مدثر

وأما بدر الدين مدثر ممثل الجناح الآخر فى حزب البعث فقد شحذ قواه الفكرية المتواضعة ليساهم فى حقلين رئيسيين لتغذية السلطة الارهابية الجديدة. اما الحقل الأول فكان حقل الندوات الجماهيرية التى ساهم فيها خطيبا داعيا لمايو، وكان أحد ابرز تلك الندوات تلك التى اشترك فيها مع عبد الخالق محجوب فى البرارى فى ٣/١٠/١٩٦٩م ولم تكن منطلقاته مختلفة عن ممثل الجناح

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٧

السورى. فكلاهما تلميذان نجيبان للصليبى المشبوه ميشيل عفلق رائد فرعي سوريا والعراق معا..

ففي تلك الندوة تحدث بدر الدين مدثر كثيرا عن أمنيته وأمنية حزبه في تكوين الجبهة المتحدة، وتحدث عن تجاربهم في إنشاء «المؤتمر الوطني للدفاع عن الديمقراطية ومؤتمر القوى التقدمية وهيئة الدفاع عن الوطن العربي».. الخ واسف كثيرا لأن القوى التقدمية لم تستطع قبل مايو ان تستخدم العنف ضد الرجعية قائلا:

(غير أن الحركة الشعبية التقدمية لأسباب لا داعي لمناقشتها الآن لم تكن مهيأة لاستخدام العنف الثورى في مواجهة العنف البدائي الرجعي لاحداث التغييرات واسقاط سلطة التحالف الاستعماري الرجعي).[1]

وهكذا يؤكد بدر الدين مدثر ان الذى منعهم من استخدام العنف هو فقط عدم امتلاكهم لوسائله ليس غير.

ثم يعود ليرحب بصورة العنف التي أتى بها الانقلابيون قائلا: «القوات المسلحة بمحتواها وضباطها الأحرار كانت القطاع الوحيد من الحلف الشعبي المهيأ لاستخدام العنف».. وقد كذب فاليساريون المغامرون المايويون هم وحدهم الذين مارسوا العنف في تلك الأيام.. ووصف تحرك مدبرى مايو قائلا: «لقد تحركت الطليعة العربية التقدمية في قطاع القوات المسلحة صبيحة الخامس والعشرين من مايو واستطاعت ان تسقط سلطة تحالف شبه الاقطاع والرأسمالية المرتبطة بالاستعمار الجديد، وبذلك فتحت ثغرة واسعة في جدار الأزمة الشاملة التي عانت منها حركة التطور في بلادنا طوال ١٤ عاما».[2]

ووصف الانجاز المايوى بأنه انجاز وطني تقدمي «ولذلك لم يكن ٢٥ مايو انقلابا عسكريا كتلك الانقلابات التي قطعت الطريق على الحركة الجماهيرية».. ثم دعا إلى الحذر من ممارسات الثورة المضادة التي «تحاول ان تنفذ إلى الثورة من خلال تعميق التناقضات بين الثورتين».. وامر جماهير الاتحادى الديمقراطي بالتوبة حتى يسمح لهم بالانخراط في النظام المايوى «ولكن بفكر جديد ووعي جديد» وبعد ان تقوم «بالادانة الحاسمة لقيادتها

---

(١) مجلة «الحياة» ٣/١٠/١٩٦٩م

(٢) المصدر السابق

ولخطها التقليدى والبرلمان الرجعى المسدود».[1]

ومواصلة لنهج التحالف مع مايو عمل بدر الدين مدثر عضوا فى لجنة وضع ميثاق العمل الوطنى للنظام المايوى فى ١٩٧٠م وكان من أكثر أعضاء تلك اللجنة حماسة وأكثرهم دعوة لتأصيل النظام المايوى ومصادمة القوى الرجعية ففى جلسة اللجنة بتاريخ ٢٢/١٢/١٩٧٠م قال بدر الدين مدثر:

«اننا اذ نختلف فان هذا فى الواقع ظاهرة صحية ولكن خلافاتنا يجب ان توضع فى حجمها الطبيعى حتى لا نحيد عن المقصود فى هذا الاجتماع. اننا نحن الذين نجتمع فى هذه القاعة سواسية تماما امام القوى الرجعية المتربصة بالثورة».. وأردف قائلا: «واكتسبت الثورة ايضا القدرة على الردع السياسى للرجعية».. وتحدث عن الردع قائلا: «هنالك شىء هام آخر وهو مهمة الثورة، وردع الرجعية وهذا ليس قاصرا على فصيلة واحدة، واذا قلنا بذلك نخلق اللامبالاة».. فهو بذلك يحرض كافة الفصائل اليسارية لردع اليمين..

وقد لازمت هذه الروح العدوانية المتعطشة للشر حماسة شديدة لمايو (والقوى الثورية هى فى الواقع بين الجالسين هنا. سواء كانوا فى السلطة أو خارجها وكلنا ثوريون ارتبطنا بثورة مايو). وقد كانت مايو ثورة لا انقلابا فى نظر بدر الدين مدثر (ولا أعتقد ان هناك من لا يوافق على العبارة الواردة فى أصل المشروع (ولم يكن انقلابا) اذ هو بالفعل ليس انقلابا ولكنه عمل ينقل السلطة من أيدى القوى الرجعية إلى أيدى القوى الثورية)..

وفى مجال تبنى مايو وتوجيهها عمل بدر الدين مدثر على إعطاء الميثاق لمسات قومية عروبية فقال فى جلسة ٢٩/١٢/١٩٧٠م «سيدى الرئيس تعديلى المقترح يهدف إلى ادخال عبارة على السطر الثانى بحث يقرأ النص كالآتى: [وثورة مايو فى فكرها السياسى وممارستها العملية تهدف إلى تنفيذ البرنامج الذى تبلورت خطوطه من خلال نضال الحركة الشعبية والفصائل الثورية ضد قوى التحالف الاستعمارى. سيدى الرئيس.. الفقرة المقترحة كالآتى:

[تعميق التلاحم بين سودان مايو وكافة الأنظمة والقوى العربية التقدمية على

---

(١) المصدر السابق

الصعيدين الرسمي والشعبي تحقيقا للتفاعل الايجابي بين قوى الثورة العربية استشرافا لآفاق الوحدة العربية التقدمية المرشحة للوحدة]

وقد اعترض بعض الماركسيين وغيرهم على التوجه الوحدوى القومي وأشاروا الى دوافع بدر الدين مدثر البعثية، فما كان منه الا ان تطوع فنفى انتماءه الى حزب البعث قائلا: [ان العديد من الأعضاء اقتنعوا مسبقا بانني منطلق من مبادىء ايديولوجية معينة، وتصحيحا لما قاله حسن عبد الماجد اقول انا اشتراكي عربي وليس من حزب البعث، وبالرغم من هذا لم اكن انطلق من ايديولوجية واحدة بل كنت احاول دائما ابحث عن المشترك بين هؤلاء الأعضاء]

.. وحسبك من زعيم حزب أن يتطوع فينفي عن نفسه انتماءه لذلك الحزب وكأنه تهمة بل ويزيد على ذلك فيصف نفسه بالتلفيقية والتوفيقية حيث نفى بدر الدين مدثر عن نفسه اى عقيدة محددة وزعم انه يوفق فقط بين الآراء..

وهكذا فقد كان بدر الدين مدثر يمثل أحد القوى المايوية فى مراحل مايو الأولى ولم يكن يفصح عن هويته الحقيقية ولا يرضى - وهو البعثي القديم - ان يوصف بأنه بعثي. وكان يتخفى تحت لافتة «القوى الوطنية» وكان مندرجا معه تحت ذات اللافتة الزعيم الحالى للحزب الشيوعى السودانى الأستاذ محمد ابراهيم نقد.

١٩ يوليو١٩٧١

وبعجز البعثيين والشيوعيين عن السيطرة على مايو واستلابها طفقوا يتآمرون عليها فى الخفاء حتى أثمر تحالفهم عن حركة ١٩/٧/١٩٧١م الرعناء التى قادها الرائد الشيوعى هاشم العطا. وكان البعثيون يظنون ان فاروق حمد الله أحد كوادرهم «وقد قاموا بتعليق صوره عقب انتفاضة رجب مع صور زعيمهم محمد سليمان الخليفة» كما كان الشيوعيون يعدونه ضمن كوادرهم ولم يكن حمد الله بعثيا كما لم يكن شيوعيا وانما كان يخادع الطرفين ويعمل لحسابه الخاص.

وقد رضى البعثيون فى قسمة السلطة بنصيب مهزول لم يتعد

وزارة العدل التى اسندت للانقلابى محمد سليمان الخليفة، ووكالة وزارة الثقافة التى اسندت لبدر الدين مدثر. ولكن كان وراء ذلك تدبير آخر اذ كان البعث يخطط فى الخفاء مستعينا بالعراق للانقضاض على هاشم العطا فى يوم ١٩٧١/٧/٢٠م

وبالفعل فقد اتت طائرتهم من العراق تحمل زعيم الحزب محمد سليمان الخليفة ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقى الفريق الركن محمد مهدى عماش ومعهما كادر مدرب من قادة طائرات الميج والدبابات السوفيتية المهيئين للانطلاق فورا من قادة وادى سيدنا لابادة الانقلاب الشيوعى والاستيلاء على السلطة. ولكن شاءت ارادة الله القاهرة ان تنفجر طائرة البعث فى سماء جدة ليصرع فيها كل من محمد سليمان الخليفة ومحمد مهدى عماش وزمرة الغدر البعثى.

إلى العراق:

وبفشل محاولة الانقلاب على مايو فر الكادر البعثى الى العراق واصبح بدر الدين مدثر زعيما للحزب وعضوا بالقيادة القومية فى العراق. وحزب البعث ـ فرع السودان ـ لم يخف مطلقا انه ليس حزبا سودانيا مطلق الارادة والتصرف وانما اعترف طواعية فى اكثر من وثيقة من وثائقه بأنه فرع لحزب آخر موجود خارج السودان.. تقول احدى هذه الوثائق:

(أن حزب البعث العربى الاشتراكى حزب قومى عربى شامل له فروع فى كافة الأقطار العربية وبين المواطنين العرب فى خارج الوطن العربى.. وهو حزب واحد لكل العرب تقوده قيادة قومية واحدة.. وهو بذلك يختلف عن كافة الأحزاب التى نشأت كأحزاب اقليمية خاضعة للتجزئةوالتىيرفع بعضها شعارات القومية والوحدة العربية)[1]

وظل البعثيون منعمين فى العراق بينما كانت القوى الوطنية الاسلامية تقود الصراع الضارى ضد مايو عبر المقاومات المدنية فى

---

(١) مجلة وعي الطلبة يصدرها مكتب الطلاب المركزى لفرع الحزب بالسودان. العدد الأول.. بتاريخ يناير ١٩٨١م.

شعبان واضرابات واعتصامات ومظاهرات ١٩٧٤م وعبر المقاومات العسكرية فى سبتمبر ١٩٧٥م ويوليو ١٩٧٦م. ولم يكن للبعثيين من وجود فى السودان الا فى صحافة حائطية باهتة ونشرات مقتضبة بعنوان (الهدف) وكانوا ما زالوا يخفون اسم الحزب ويتعاملون تحت لافتة (جبهة كفاح الطلبة) حتى بعد المصالحة الوطنية التى ابتدرها الصادق المهدى مع نميرى فى ١٩٧٧/٧/٧م وحينذاك ظهر اسم حزب البعث للمرّة الأولى على المحيط السودانى.

وقد ظل هم الحزب الأكبر طوال فترة المصالحة التى امتدت الى ما قبل الشهر الأخير من عمر النظام المايوى، ان يركز الحزب هالة ضخمة من الدعاية حول اسم الحزب تعويضا عن التعتيم الذى مارسه بمحض ارادته على اسم الحزب منذ مولد خلاياه الأولى فى السودان. وتمثل الجهد الاعلامى الذى بذل فى هذا السبيل فى (شخبطة) حيطان كثير من المنازل فى العاصمة والأقاليم.وأحيانا تتم (شخبطة) كثير من المنازل فى مناطق متباعدة من أجل ايهام الناس ان الحزب له قواعد كثيرة منبثة فى كل الأطراف ولكن الذى يدقق فى اسلوب الخط يتضح له ان الكتابة متشابهة وان الكاتب واحد سواء اكانت (الشخبطة) فى منازل الكلاكلة او الحاج يوسف او فى الجريف او فى ام بدة.

وفيما بعد ثورة رجب اتبع الحزب اسلوبا آخر هو اسلوب الندوات والمحاضرات الوهمية فيعلن الحزب فى الصحف عن ندوات ومحاضرات للحزب تقام فى أحياء متفرقة متباعدة وفى مدن وقرى اخرى فى وقت واحد ولكن المستمع أو المراقب اذا ذهب ليستمع الى هذه المخاطبات لا يرى ولو اثرا بعد عين.

وخلال ذلك كان الحزب يعمل لتسريب اعضائه فى الجيش ومحاولة انشاء خلايا فى هذا الجهاز الحساس هذا بالاضافة الى المئات من العناصر العسكرية التى تمكن الحزب من تدريبها تدريبا عسكريا متفوقا فى العراق. وقد كان لذلك النشاط الاعلامى هدف آخر هو المساعدة فى استقطاب عدد من العسكريين بعد ايهامهم بقوة جماهيرية مزعومة للحزب.

البعث والانتخابات:

وبعد ثورة رجب استمر حزب البعث فى نفس خطه الدعائى السابق فأغرق العاصمة بلافتات القماش التى تحمل شعاراته ومطالباته بتخفيض أسعار الوقود والسكر والدواء وضرورة الالتفاف حول التجمع النقابى وعزل الجبهة الاسلامية القومية،كما أقاموا عددا من المعارض عند بعض ملتقيات الطرق وتجمعات المدارس وخاض المواطنون معهم نقاشا عميقا جريئا حول اطروحاتهم التى قدموها لحل قضايا السودان المتأزمة.

وافتعلوا صراعات كثيرة وشجارات مع الجبهة الاسلامية التى لم تستجب لذلك وقد اعترفوا فى مجلتهم اللندنية (الدستور) فى العدد الصادر بتاريخ ١٩٨٦/٣/٣م انهم تعرضوا لندوات الجبهة الاسلامية وعدوا ذلك دليلا على انتشار حزبهم حتى فى مناطق الغرب. وقد كان افتعال الشجار مع الجبهة الاسلامية سمة كثير من الأحزاب المعادية للاسلام والحركة الاسلامية فى أيام العام الانتقالى حيث تعرضوا للندوات السياسية الاسلامية بالهتاف العدائى والحصب بالحجارة.

وربما كانت جرأة البعثيين تلك متولدة عن غرور وثقة بالنفس لا مبرر لها الاالوهم حيث ادعوا فى مجلتهم (الدستور) بتاريخ ١٧/٣/١٩٨٦م خلال حديثهم عن مهرجان اقاموه بمدينة كوستى فقالوا «ان عدد الذين كانوا فى استقبال الأستاذ بدر الدين مدثر يقدر بحوالى ١٦٠ ألف من المواطنين» ذلك مع أن عدد أصوات المساهمين فى الانتخابات عموما فى كوستى وضواحيها لم يصل الى ذلك الرقم.

وكانت أولى الصدمات التى وجهتها الحركة الاسلامية إلى البعثيين من ضمن طائفة التجمع المعادى للاسلام ذلك الانتصار الباهر الذى حققه تنظيم الاتجاه الاسلامى فى انتخابات اتحاد طلاب جامعة الخرطوم حيث تمكن من أن يحقق فوزاً كسح به تلك التنظيمات

السبع المتحالفة ضده في تلك الانتخابات. ويومها نشرت مجلة (الدستور) البعثية مقالا لصحفي صغير في الخرطوم اسمه (يوسف الشنبلي) دعا فيه لمزيد من التحالف من أجل خنق الحركة الاسلامية، حتى لا يتكرر ذلك الانتصار الاسلامي (فبينما نامت العاصمة ليلة الجمعة وفي يقينها ان الانتخابات ستسفر عن فوز التحالف بجميع أحزابه على قائمة الاخوان المسلمين الا ان النتيجة انقلبت تماما)..

وقد عزا الشنبلي هذا الفوز الاسلامي الى ان الاسلاميين اصبحوا (يختطون نهجا جديدا للكسب السياسي بالأساليب المادية، ونظرا للظروف الصعبة التي يعيشها أغلب الطلاب، كان للاغراءات المالية دورها في كسر بعض النفوس والغريب حقا ان هذا الاسلوب كان الحجة القوية التي تدين بها جماعة الاخوان المسلمين الأحزاب التقليدية خلال المعارك الانتخابية في العهد الديمقراطي الأول و ذلك قبل ان تمتلك هذه الجماعة في عهد الطاغية مؤسسات مالية وبنوك تكاد تكون موازية لما تمتلكه الدولة).. وهكذايتجرأ هذا الصحفي لاتهام طلاب جامعة الخرطوم بأخذ الرشاوى المادية من أجل التصويت للاتجاه الاسلامي وهذااتهام لم يوجه من قبل إلى طلاب جامعة الخرطوم. ولو كان لهذا الصحفي أدنى قدر من الذكاء السياسي لما أصدر هذا الاتهام الوضيع.

ولقد كان في خطـ حزب البعث ان يعمل قدر الامكان على إطالة أمد فترة الانتقال وتأجيل الانتخابات أو الغائها من أجل أن يتمكنوا خلال ذلك من تنفيذ انقلاب عسكري، وقد كان بعض الضباط الذين اكتشفوا وهم يدبرون أحد الانقلابات من أنصارهم. ولكن ازاء الحزم الذي أبداه المجلس العسكري ورغبة الأحزاب الكبيرة في إجراء الانتخابات اضطر البعثيون الى الرضوخ للامر الواقع واستعدوا للانتخابات ببرنامج انتخابي هلامي، ضم شعاراتهم المعروفة.

أما في الدوائر الجغرافية فقد رشح حزب البعث ٢٢ مرشحا في مديرية الخرطوم نالوا مجتمعين ١٣٢٦٣ صوتا. و ١٣ مرشحا في الاقليم الأوسط نالوا ٧٣٦٢ صوتا، و ١١ مرشحا في كردفان نالوا ٤٥٩٦ صوتا، و ٩ مرشحين في دارفور نالوا ٣٩٩٢ صوتا. و ٧

الاسلامية القومية كانت هى الخاسر الأكبر بعد الانتخابات (بالرغم من حصادها لخمسين مقعدا نيابيا) ان الجمعية التأسيسية الحالية مطالبة بأعادة النظر فى قوانين الشريعة التى استناها (الصواب استنها أو سنها) الاخوان لنميرى لالغائها وتعديلها أو تجميدها وهو ما ترفضه الجماعة التى ذهبت إلى أكثر من ذلك وقالت انها ترفض مجرد النظر فى هذه القوانين)..

وسيفطن القارىء بالطبع إلى ما فى هذه السطور المريضة ـ سوى الاخطاء اللغوية ـ من مغالطات.. وهكذا خسر البعث دعايته السابقة وخسر رصيده الوهمي.. برغم ما انفق من الأموال الطائلة فى تلك الحملة الانتخابية، وقد قدرتها احدى المجلات الأجنبية بخمسين مليونا من الجنيهات ولكنا نرى قدرا من المبالغة فى هذا الرقم الكبير.

إغتيال بالموصل:

وبعد الانتخابات جاءتهم نكبة اخرى سببوها لانفسهم بانفسهم . فلقد، كان العراق يتكرم على السودان باستضافة عدد من الطلاب السودانيين يقوم بتعليمهم وإعاشتهم فى عدة جامعات عراقية، وكانت شروط القبول الأكاديمية والسياسية متساهلة نوعا ما، كما كانت الضغوط على الطلاب بالحد الذى يمكن ان يتجاوز عنه، غير ان الأمر تغير بعد انتفاضة رجب، اذ تكاثر عدد الطلاب بشكل متضاعف، ثم ازدادت عليهم الضغوط الحزبية من أجل الالتزام بفكر وتنظيم البعث.

وفى عام ١٩٨٧ ووجه الطلاب السودانيون بالجامعات العراقية، وبجامعة الموصل خاصة، بأنهم غير مسموح لهم بالعمل السياسى فى المحيط الطلابى، الا فى إطار جبهة كفاح الطلبة، احدى واجهات حزب البعث. وعارض الطلاب المستقلون ذلك فهجم عليهم الطلاب البعثيون فى ١٦/٦/١٩٨٥م وضربوهم ضربا مبرحا، حتى اشرفوا على الموت، واستنجدوا بإدارة الجامعة، وسلطات الأمن والشرطة، إلا

مرشحين في الاقليم الشمالى نالوا ٣٣١٩ صوتا. ونال مرشحوهم الخمس في الاقليم الشرقى ١٩١٩ صوتا.

وكانت حصيلة أصوات حزب البعث في كافة الدوائر الجغرافية بالسودان ٣٤٫٥٥١ صوتا، بنسبة أقل من واحد بالمائة من مجموع أصوات المسجلين وبالطبع فلم يفز لهم مرشح واحد.

وأما في دوائر الخريجين فنال مرشحوهم الثلاثة في دوائر العاصمة ٢٫٣٨٥ صوتا. ونال مرشحوهم الخمس في الاقليم الأوسط ١٫٣٠١ صوتا. ونال مرشحوهم الاربعة في اقليم كردفان ١٦٤ صوتا. ونال مرشحوهم في دارفور ١٠٩ صوتا. ولم ينالوا شيئا في الاقاليم الأخرى.

وكان البعثيون قد أصدروا بيانا قبل الانتخابات ادعوا فيه ان الجبهة أصبحت تعتبر كل من ينتسب اليها هو المسلم ومن هو خارجها كافرا وملحدا ودعوا إلى اتخاذ كافة الوسائل والسبل الكفيلة بالحفاظ على وحدة البلاد في ظل الديمقراطية وعلى أهداف الانتفاضة، وفي مقدمتها تمسك الخريجين بوحدتهم في مواجهة الجبهة الاسلامية.. وسعى البعثيون بالفعل تكوين قائمة موحدة تضم الأحزاب الاخرى ضد الجبهة الاسلامية ففشلوا في ذلك،وحتى لو استطاعوا تكوين تلك القائمة لهزمتها الجبهة لأنها نالت من أصوات الخريجين أكثر مما نالت كل الأحزاب الأخرى مجتمعة.

وقد جاءت نتائج الانتخابات عموما قاصمة لظهر اليسار ولحزب البعث خاصة.وسكتت صحيفة الحزب الرسمية (الهدف) في اليوم التالى لصدور نتائج الانتخابات رغم انها قد صدرت في ذلك اليوم، واعتذرت عن عدم تغطيتها لنتائج الانتخابات بأسباب (فنية) ثم ادعى أحد قادتهم وهو الاستاذ التجانى حسين في الدستور الصادرة بتاريخ ٨/٤/١٩٨٦م ان حزبهم نجح في تلك الانتخابات حيث تمكن من الاتصال بالجماهير من خلال المعرض والندوة السياسية والحوار الموضوعي.. وهى أساليب جديدة لم تشهدها قبل الساحة السياسية في بلادنا)..

وجاء يوسف الشنبلى مراسلهم في الخرطوم يرتكب أكبر مغالطة اذ زعم في عدد الدستور الصادر بتاريخ ٢٨/٤/١٩٨٦م ان الجبهة

أنها كلها لم تحرك ساكنا.

وتكرر الاعتداء في ٢٦ / ٥ / ١٩٨٧م داخل اجتماع رابطة الطلاب المستقلين، وفي ٢٧ / ٥ / ١٩٨٧م ضربوا الطلاب المستقلين في ساحات الكليات، ثم في داخل السكن الجامعي [1] وأخيرا تربصوا لأحد الطلاب المستقلين وهو الطالب الطيب الأمين الذى كان في طريقه إلى السوق برفقة بعض زملائه فأردوه قتيلا.

وقد برر البعثيون اعتداءاتهم هذه على المستقلين، بأنهم شيوعيون او اتباع لحزب الدعوة، أو معادين لحزب البعث والثورة والرئيس القائد.. وقدموا قائمة بأسماء بعض الطلاب لرئاسة

الجامعة قالوا أنهم ليسوا مسؤولين عنها . ثم زيفوا انتخابات رابطة الطلاب المستقلين واستولوا عليها.. وقد اضطر الطلاب السودانيون المستقلون أخيرا إلى الاستقالة إحتجاجا على إغتيال زميلهم وعلى توالى

الاضطهاد والعسف الذى هدد وجود كل الطلاب السودانيين غير البعثيين في العراق.. واضطرت الحكومة السودانية إلى إرسال وزير التربية إلى العراق، من أجل تأمين سلامة الطلاب السودانيين هناك، وضمان وصول المستقيلين منهم إلى السودان، وقد قدم وزير التربية فيما بعد إفادة إلى الجمعية التأسيسية، تضمنت الحقائق الأساسية التى دمغ بها البعثيين

وبهذا الحادث الاجرامي البشع، عرف الناس الوجه الارهابى الحقيق البشع لحزب البعث، وأصيبت سمعة الحزب بلطمة عنيفة، كانت أقل عنفا من اللطمة التى تلت عندما اغتيل مهدى الحكيم في فندق هلتون، بينما كان في زيارة إلى السودان وهكذا تتوجت ممارسات وسياسات حزب البعث بالسودان.

---

(١) لمتابعة مسلسل العنف هذا راجع بيانات ومذكرات الطلاب المستقلين بالعراق، وخاصة المذكرة التى رفعوها لرئيس جامعة الموصل بهذا الخصوص.

الفصل الخامس

لقد فشل حزب البعث فى كل محاولاته الوحدوية، سواء على الصعيد القومى، أو الوطنى، أو الحزبى. وأكثر من ذلك، فقد فاقم تصاعد نزعة الطائفية فى بعض الأقطار!

وفى خاتمة تطوره الفكرى، تبنى حزب البعث، كامل المفاهيم الماركسية، عن الاشتراكية والصراع الطبقى!!!

حزب البعث والوحدة

يضع حزب البعث (بجناحيه) قضية الوحدة في أول سلم أولوياته الثلاث: (وحدة.. حرية.. اشتراكية) ثم يشفع هذا الثالوث بشعار آخر ضاف يؤكد - بالتكرار - نزعة الوحدة هذه، وهو الشعار القائل: (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة).

أما مراقبو انجازات الحركات القومية وعلى رأسها حركة حزب البعث، فيؤكدون أن هذه الحركات لم تنجح بنضالها إلا في زيادة التجزئة التي فرضها الاستعمار لتصل بفضل هؤلاء القوميين إلى حد القطيعة الكاملة.

ويلاحظ الأستاذ جلال كشك انه كان من الشائع ان يتولى أبناء قطر عربي الحكم في قطر آخر وكان من الطبيعي في نفس الوقت قبل ظهور القوميين وظهور الأمة الواحدة ذات الرسالة الخالدة.. كان من العادي جدا أن يهاجر المصري إلى السعودية أو الكويت ويهاجر العراقي إلى اليمن أو السعودية فيصبح وزيرا أو سفيرا أو مستشارا للحاكم.. كذلك الشامي في مصر والسودان أو الجزيرة. كان من الطبيعي وغير المستغرب ان يولد (الحصري) في الشام ويقضي طفولته في تركيا ثم يعمل في معظم الدول العربية..

وأن يكون أحمد زكي باشا الملقب بشيخ العروبة مغربي الأصل فلسطيني المنبت مصري الحياة والعمل والجهاد. بل حتى الملوك في الدول العربية لم يكونوا كلهم من جنسية الكيان الذي حكموه ولم نسمع عن الطرد الجماعي لرعايا الدول العربية من دولة عربية إلا

بعد انتشار كفاح القوميين [1]

وقد فشل البعث فى كل محاولاته الوحدوية، سواء على صعيد توحيد الدول العربية، أو توحيد الدولتين اللتين يسيطر عليهما معا. أو توحيد قوى أى من هاتين الدولتين اللتين يسيطر عليهما على انفراد«تحقيق وحدة وطنية»أو توحيد شطرى الحزب (فرعى سوريا والعراق).أو توحيد قوى أى من هذين الحزبين على انفراد (الجناحين العسكرى والمدنى).كما فشلت حكومات البعث حتى فى الحفاظ على العلاقات السلمية الطيبة بين قيادات الحزب أو طبقات الوطن وطوائفه، كما فشلت فى الحفاظ حتى على مجرد علاقات طيبة مع الدول العربية الأخرى.

وكان البعث قد تزعم محاولات الوحدة منذ الخمسينات عقب فشل محاولات الوحدة المختلفة مثل مشروع الهلال الخصيب الذى دعا له نورى السعيد ودعوة سوريا الكبرى التى تولاها الملك عبد الله ومحاولات الجامعة العربية فى ١٩٤٥م.

الوحدة الثنائية:

وعقب استيلائهم على السلطة بواسطة الضباط ودرءا لسلبيات ومخاوف ومحاذير كثيرة آثروا ان يتحدوا مع مصر الناصرية تعضيدا لموقفهم فى مواجهة الخصوم فى الداخل واتقاءا لمكايد حلف بغداد المتربص بسوريا. وقبل عبد الناصر تلك الوحدة المقترحة بعد أن املى على البعثيين شروطه المتلخصة فى حل حزب البعث ضمن الأحزاب الأخرى فى سوريا وايقاف تدخل الجيش فى السياسة واجراء استفتاء شعبى على الوحدة.وفى فبراير ١٩٥٨م وقع شكرى القوتلى الذى كان دمية فى يد البعثيين على اتفاق الوحدة مع عبد الناصر والذى ابدى مخاوفه فورا (كما ذكر هيكل) وحذر عبد الناصر مما فعل.

(١) محمد جلال كشك. القومية والغزو الفكرى، ص ٤٩ بتصرف.

وفى خلال تلك الوحدة جرت المتناقضات العديدة التى أودت بها أخيرا.. ونحن هنا ننقل عن طرفى الصراع جزءا من اتهامات هيكل (الناصرى) للبعثيين وجزءا من اتهامات شبلى العيسمى (البعثى) للناصريين.

ان هيكل فى كتابه «ما الذى جرى فى سوريا» يحلل الوضع فى سوريا فى درجات مختلفة اذ يرى ان الأحزاب المتصارعة فى سوريا وكتل الجيش المتربصة ببعضها بعضا فى المعسكرات: (لدرجة ان قادتها كانوا يقضون الليالى فى الثكنات حتى يكونوا على أهبة الاستعداد لأى حركة يقوم بها أحدهم ضد الآخرين وكان ذلك مما منع استقرار الأوضاع فى سوريا.)[1]

كما يرى من ناحية ثانية انه بينما كانت مصر قد انتهت من مرحلة الثورة السياسية ضد الاستعمار ووصلت لأعتاب الثورة الاجتماعية ووقفت تتحسس طريقها إلى التغيير الثورى، معبأة متحفزة، فان سوريا لم تكن فى حالة تعبئة ثورية وانما كانت ضائعة فى تيه المناورات: (ولم يكن معقولا ان تكون هناك جمهورية واحدة. تتحرك الثورة الاجتماعية فى أحد اقليميها ويسود الجمود الاجتماعى فى اقليمها الثانى).[2]

وقرر هيكل ان سياسيى سوريا (كانوا جميعا يريدون أن تبقى مصر فى مصر وان تبقى سوريا فى سوريا وان ظهور قوى جديدة نتيجة للوحدة يتعارض فى نظرتهم للأمور من أول يوم فى التجربة، فأى قوة جديدة كانت اخذا منهم واضعافا لهم)[3]

ومن هؤلاء كان قادة حزب البعث حيث كان ميشيل عفلق ضعيف الفاعلية: (وحين التقيت بميشيل عفلق تبدد خيالى القديم عنه، كانت أفكاره تضيع منه ومنى فى الألفاظ وكانت الألفاظ تضيع منه على لسانه فلقد كان يستريح نصف ساعة بين الكلمة والكلمة وكان الاستماع

---

[١] ما الذى جرى فى سوريا ٥٩

[٢] المصدر السابق ص ٦٤ ـ ٦٥

[٣] المصدر السابق ص ٦٧

اليه فى المرات التى اتيح لى ان التقى فيها معه عذابا ليس فوقه عذاب..) [1]

وأكرم الحوراني.. (زادت حيرتي فيه بعد لقائي معه عما كانت عليه قبل هذا اللقاء فلقد كان معظم ما سمعته منه لا يزيد على قوله ان فلانا (آدمى) وفلانا الآخر (رذيل). [2]

وقد وقف زعماء البعث: (موقف المناورة والاحراج الحزبى بغية ان يكون لهم وحدهم حق الحكم فى سوريا وحدها) [3] وزعم هيكل ان صلاح البيطار الذى كان وزير الخارجية فى سوريا قبل الوحدة أراد أن يكون وزير خارجية الوحدة.. ولما قيل له ان الدكتور محمود فوزى أجدر على أداء الأدوار العظام المنوطة بالدولة الجديدة وانك ستكون وزيرا للدولة فى وزارة الخارجية مختصا بالشئون العربية لم يعجبه الحال.

وذهب صلاح البيطار مع عفلق لمقابلة عبد الناصر وكانا يحملان وجهة نظر فى الحكم مؤداها ان الوحدة لم تقع عملا وان كانت قد وقعت شكلا.. وطلبا تكوين مجلس أعلى للدولة من عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادى وزكريا محى الدين وأكرم الحورانى وميشيل عفلق وصلاح البيطار ولكن عبد الناصر رفض ذلك بحجة ان الثلاثة الأواخر حزبيين بعثيين) [4]

ولم يضع البعثيون فى وزارتهم فى دمشق الا الأعضاء البعثيين وأصبحت بطاقة الحزب هى جواز المرور الى التغيير فى وظائف الدولة كما اصبحت وسيلة الترقى الى المناصب الكبرى فيها. وعاد البعثيون للتدخل فى اسر الجيش حتى وصل الأمر بأكرم الحورانى ان يبدى رأيه فى تنقلات الجيش فيشير بعزل الفريق جمال فيصل قائد الجيش ويقترح تعيين مصطفى حمدون بدلا عنه.

وحكى هيكل حكايات كثيرة رئيسية وتفصيلية انهاها بحكاية

---

(١) المصدر السابق ص ٨٨

(٢) المصدر السابق ص ٨٩

(٣) المصدر السابق ص ٩١

(٤) المصدر السابق ص ٩١

الاستقالات الجماعية التى خرج بها وزراء البعث من الوزارة مما دعا عبد الناصر لأن يؤكد ان تلك الاستقالات قد اقنعته بأن أساس الثقة بينه و بين البعثيين لم يعد قائما..

وفى المقابل فقد القى البعثيون بتبعات سلبيات الوحدة واخفاقاتها على الناصريين. وفى كتابه الموسوم بـ:(الوحدة العربية من خلال التجربة) أورد لنا شبلى العيسمي خلاصة لما وردفى مقررات مؤتمرات البعث فى تحليل عوامل انتكاس التجربة مما نورد خلاصته فيما يلى:

(١) ان حكم الوحدة تجاهل المنطق القومي وعمد الى تعميم تجربة الحكم الفردى بتقاليده واساليبه السائدة فى الاقليم الجنوبى (مصر) على الاقليم الشمالى (سوريا) حيث التجربة الغنية فى الديمقراطية والتنقل الشعبى كما أعطى طابع التسلط الفردى والاقليمى..

(٢) ان حكم الوحدة بالغ فى اعتماده على اجهزة المخابرات واساليب الضغط والمراقبة. وركز على وسائل الدعاية الضخمة لتكون بديلا فى دعم الحكم عن المنظمات النقابية والشعبية وخاصة ذات الاتجاه العقيدى الذى كان حزب البعث ابرز ممثليه.

(٣) ان الوزارة المركزية لم تكن لها مسئوليات حقيقية وكانت الأحزاب ملغاة وموضع هجوم وتشنيع.والنقابات العمالية والجمعيات المهنية المختلفة تحولت الى هيئات شكلية لمؤسسات الدعاية والاستخبارات.

(٤) ان مفهوم القيادة السياسية للاشتراكية كان مفهوما عائما وغير مستقر وان القرارات الاشتراكية التى باركها الحزب لم تصدر الا قبل فترة وجيزة من وقوع الانفصال اى بعد (خراب البصرة) كما يقول المثل الشعبى.

(٥) ان السياسة الداخلية والقومية والدولية كانت حرجة وغامضة بصورة عامة ووقعت فى الكثير من الأزمات والانتكاسات واعتمدت أحيانا على العناصر الرجعية والاقطاعية والطائفية وحركت عساكر الدول الأخرى بواسطة أجهزة المخابرات لاحداث انقلابات فى بلادها..

ومهما يكن من أمر فقد كان الميل واضحا للتفلت من المسئولية مع رميها على الطرف الآخر.هذا مع ملاحظة ان الطرفين شريكان في المسئولية.. وهذا وان كان الانصاف يقتضينا ان نذكر للعيسمي انه اعترف ببعض أخطاء الحزب التي من بينها انه قبل بشرط عبد الناصر في حل جميع الأحزاب ومن بينها حزب البعث ورأى الأستاذ العيسمي ـ بعد فوات الأوان ـ ان ذلك قد قاد الى التخلي عن الضمانة الأساسية لحراسة الوحدة مع ترك القيادة للتسلط الفردي.

واعترف العيسمي: (ان الحزب كان متحمسا للوحدة واستطاع ان يعبيء عواطف الجماهير نحوها ولكنه لم يضع لها استراتيجية واضحة ولم تكن لديه دراسات عن صيغها التطبيقية وأشكالها الدستورية).

وانهارت اخيرا وحدة فبراير ١٩٥٨م الهشة بانقلاب البعثيين في سبتمبر ١٩٦١م حيث وقع كل من أكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار على وثيقة الانفصال التي حملت المسئولية للناصريين وشنت هجوما عنيفا على اسلوب حكمهم.

الوحدة الثلاثية ١٩٦٣م:

ومن غير ان يتغير شيء في الوضع المصري عاد البعثيون وتحت شعار تجديد الوحدة لا اعادتها لتجربة ما سمي باتفاقية الوحدة الاتحادية بين سوريا ومصر والعراق.وذلك بعد أن وصل بعث العراق الى السلطة في فبراير ١٩٦٣م وبعدان عاد البعث السوري الى السلطة في مارس ١٩٦٣م.

وكالعادة فلم يبحث أطراف اللقاء مخططا مدروسا للوحدة كما لم يكن الوفاق سائدا حتى بين أعضاء الوفد الواحد. وأكثر من ذلك فقد كان التشكك في النوايا سائدا،حتى ان عبد الناصر كان يخاطب وفدي العراق وسوريا مبديا مخاوفه منهم قائلا: (ربما تزنؤني بالمستقبل في زاوية) ذلك ان البعثيين اصبحوا اغلبية في هذه المرةوبقدرما كان عبد

الناصر طامحا إلى الزعامة المطلقة فقد كان البعثيون يتخوفون منها. ولذلك فقد قرروا في بنود الاتفاق الذى انعقد في ١٧ / ٤ / ١٩٦٣م احداث مجلسين للنواب والاتحاد، احدهما يتكون بنسبة سكان كل قطر، والثانى بعدد متكافىء من الأعضاء في كل قطر. وألا يصدر قانون الا اذا اقره المجلسان واذا اختلف الرأى حوله بين المجلسين يحال إلى لجنة توفيق من المجلسين. كما جعلوا انتخاب الرئيس مباشرة من الشعب لا من مجلس الأمة وان يكون له ثلاثة نواب منتخبون بنفس الطريقة يمثلون الأقطار الثلاثة كما الزموا الرئس باستشارتهم وعدم تجاوزهم.وقد كان كل ذلك من أجل الحد من طموحات عبد الناصر ونزعته الانفرادية التى بانت واضحة ابان وحدة ١٩٥٨م.

وقبل ان ينفض اجتماع مفاوضات الوحدة اقدم صلاح جديد رئيس الأركان العامة السورى على تسريح عدد من الضباط الموالين لخط عبد الناصر من الجيش السورى فكان ذلك بمثابة القشة التى هشمت عقد الاتفاق، اذ أعلن عبد الناصر فورا الغائه ثم فتح الطرفان ابواق دعايتهما بما يشبه الحرب الباردة واستمرت اجواء القطيعة - لا الوحدة - زمنا بعد فشل الاتفاق.

وندد المسؤولون السوريون كثيرا بحكام مصر ووقف رئيس الوزراء أمين الحافظ في حمص في ١٧ / ٧ / ١٩٦٣م يقول: (نقول لحكام مصر: ان الذى يؤمن بالله وبما انزل من عنده حقا، لا يتآمر على عباده ولا يسرق أموال شعبه البائس فيصرفها على التآمر والغدر والخيانة والكذب والدجل) وقف عفلق في دمشق يتهم سياسة مصر بالبيروقراطية والاقليمية واللاعقائدية وانها كانت مع الأسف نسخة عن سياسة الأجهزة التى كانت تحكم القاهرة قبل عام ١٩٥٢م اى سياسة اقليمية توسعية قصيرة النظر، تخطط وتعمل لاضعاف الأقطار العربية لتبقى هى المتفوقة والمسيطرة)

وفي بيان جماعى اعلن مجلس قيادة الثورة في دمشق في ٢٨ / ٩ / ١٩٦٣م: (ان ثورة يوليو تعانى منذ ولادتها هذه الأزمة التى صرفتها عن الاتجاه الشعبى الديمقراطى التقدمى. لقد قامت أول ما قامت دون ركائز شعبية. ولكن الشعب دعمها لا في مصر وحدها وانما

فى كل دنيا العرب، ولكنها نظرت الى الشعب من أعلى واستطاعت القوى المعادية لها والمستغلة لكل حكم ان تنفذ اليها حاملة معها زيف الانتهازية). ولم تقصر السلطات المصرية فى الرد على هذه الاتهامات فأطلقت أبواق اذاعتها، كما اشترك عبد الناصر نفسه فى رد تلك الاتهامات والهجوم على البعثيين ففى خطابه بالاسكندرية بتاريخ ٢٢/١٠/١٩٦٣م اتهم حزب البعث بانه: (فرض الارهاب بالحديد والنار.. انه حكم فاشى لا يمثل الشعب.. بنى وجوده على الارهاب وعلى السجون) وقال ان حزب يتحالف مع الاستعمار ومع أعوان الاستعمار..

وهكذا اثمرت محاولة الوحدة الثانية خصاما مرا أفسد العلاقات الطبيعية التى كانت سائدة بين الشعوب الثلاثة وعبثا حاول البعثيون فى سوريا والعراق تعويض ذلك بإقامة محاولة اخرى للوحدة الثنائية بين قطريهما ولكن سرعان ما تنافروا واختصموا رغم وحدة الفكر المفترضة بين جناحى الحزب. ولكيما يموهوا على الرأى العام ولكيما يخفوا فشل المحاولة ولكى لا يشمت عليهم عبد الناصر أعلنوا عن تنسيق عسكرى بين الطرفين لم يدم طويلا، اذ تمكن عبد السلام عارف من الاطاحة بالبعثيين فى العراق.

الوحدة الرباعية فالثلاثية ١٩٧٠م:

أما المحاولة الرباعية للوحدة فقد كانت اضعف مما قد سبق. وقد بدأت هذه المحاولة ثلاثية بين مصر وليبيا والسودان فى ١٨/١١/١٩٧٠م عندما اعلن عن قيادة سياسية مشتركة ولجنة للمتابعة وغير ذلك،ثم حدث الانقلاب البعثى التصحيحى فى سوريا بقيادة حافظ الاسد وانضم الى الاتحاد الثلاثى ليصبح رباعيا، ثم انسحب السودان بسبب ظروفه الخاصة (حرب الجنوب، وشروط الجنوبيين) عن الاتحاد ليصبح ثلاثيا.

اما ابرز نواحى الضعف فى هذا الاتحاد فى اى من مراحله الثلاث

فهى فى تناقض توجهات دوله. وكانت الحكومة المصرية فى تلك الآونة قد قبلت بضغط من الامريكان والروس مشروع روجز للسلام. متعللة بانه مشابه لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وكانت وجهة النظام المصرى عموما نحو الحل السلمى والتصالحى وذلك ما كان يتناقض بشكل واضح مع السياسات الليبية المتطرفة تجاه اسرائيل وتجاه الحل السلمى.

وقد بلغ من هوان ذلك الحلف انه لم يتطرق بكلمة واحدة الى دعم العمل الفدائى الفلسطينى رغم انه كان قد تعرض لأبشع ضربة يتلقاها من يد الحكم الاردنى فى ١٩٧٠م.

وبسبب هذه الاتجاهات السلمية اضافة الى تضارب السياسات الخارجية لاقطار الاتحاد مع بعضها البعض اضافة الى التناقض فى تركيبة الأنظمة (الشعبية) لكل من هذه الدول ما بين نظام يقوم على الحزب (سوريا) ونظام يعتقد ان (الحزبية خيانة ومن تحزب خان) (ليبيا) فقد بدا واضحا ان الاتحاد مصيره الذبول والاضمحلال وقد استمر الاتحاد شكليا بمجلس اتحادى بلا فعاليات الى ان انفض رسميا بعد سنوات.

بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣م:

اندفع العراق ليلقى بثقله العسكرى وراء الجيش السورى فى حرب اكتوبر مما مهد أرضية صالحة للتعاون بين الحزبين والقطرين فى أعقاب الحرب. بيد ان ذلك الحلم سرعان ما اندثر مع نهاية الحرب. ثم تحسنت الأجواء مرة ثانية عندما أعلن صدام حسين فى وقت متأخر بعد سنوات بعد كامب ديفيد: «ان الظروف العصيبة التى تواجه الأمة العربية لا تجعل من المناسب ان تكون العلاقات السورية العراقية مجرد علاقات ودية خاصة، أو علاقات حسن جوار، وانما ينبغى ان تكون علاقات وحدوية. ودعا الى الاستفادة من دروس الماضى بقصد احكام صيغ العمل القومى الوحدوى واكد انه سيعمل على ترجيح ارادة الخير لبناء نواة دولة العرب الكبرى..»(!!) (الحوادث ١٩٨٧/١٢/٨م)

ومن ناحيته استجاب حافظ الأسد للنداء العراقي وقدم مقترحاته التي قوبلت بالاستجابة واتُخذت محورا لميثاق العمل القومي والذى كان مجرد ميثاق لفظى لم يجد رصيدا كافيا من حسن النوايا بين الطرفين.

وقبل ان يُحكم ميثاق الوحدة انهار، اذ اطلت الحساسيات الحزبية من جديد. فالمعروف ان القيادة القومية (التاريخية) للحزب ما زالت تقيم في العراق وعلى رأسها القادة السوريون من أمثال ميشيل عفلق (والذى كان محكوما عليه بالاعدام في سوريا) وشبلى العيسمي واكرم الحوراني، وامين الحافظ.. وهكذا بدا وكأن الشرعية التاريخية للحزب قد انتقلت للعراق، فاذا ما تمت الوحدة بين الطرفين رجحت تلقائيا كفة العراق.

ويومها اقترح البعض ان يرسل هؤلاء الذين يشكلون حكومة الظل السورية في العراق في بعثات دبلوماسية كسفراء أو كممثلين شخصيين، وتأليف قيادة جماعية سورية عراقية لحزب البعث، لكن كل ذلك لم يسعف المختصمين الذين تطورت درجات خصامهم لتصل إلى حد الحرب المكشوفة، والاغتيالات والتسميم، والخطف، ثم اكتشفت ترسانة الأسلحة والأطعمة المسممة في السفارة السورية في بغداد فكانت الطامة..

وفي فترة لاحقة أعرب صدام حسين، عن يأسه النهائي من أى محاولة للوحدة، أو الانسجام، أو حتى التفاهم الايجابى مع قيادة حزب البعث السورى، فأدلى بتصريح لمراسل صحيفة «السياسة» الكويتية قال فيه: «التقيت بالأسد مرة واحدة في الأردن عقدنا فيها اجتماعين، اجتماع استمر (١٢) ساعة ونصف، واجتماع استغرق نحو (٣) ساعات ونصف. فأنا وجدت حافظ الأسد كما هو ووجدني كما أنا، وكنت اتصور أو كان لدى بقايا أمل، في أن يكون قد تزحزح عما أعرفه عنه.. فكنا نفسيتين على طرفي نقيض، ليس في شخصيتين، وانما في فهمين، وفي عقليتين، وفي تفسيرين، وفي كل القضايا القومية والوطنية لم نتفق على اى شيء ولم نتقارب في أى شيء أو أى ناحية».[1]

---

(١) عن صوت الجماهير بتاريخ ١٤/١٠/١٩٨٧م

مع أن هنـاك تنـاقضاً جذرياً بين الفكرة القومية باعتبارها فكرة «تفـرقـة» و«تخصيص» وبـين الفكـرة الاشتـراكيـة باعتبارها فكرة «مساواة»و«تعميم»، إلا ان البعثيين يفتخرون بأنهم نادوا «منذ البدء بشعـار الاشتـراكيـة مقـرونـاً بشعـارى الوحـدة والحـريـة وقد حققت ايديولوجية الثورة العربية هذا الربط بين القضية القومية وبين مضمونها الاجتماعي»[1].

وقـد كانت الاحـزاب الشيـوعيـة الأممية اول من جاء بشعـار الاشتراكية البراق الى عالمنا العربي والاسلامى ثم انساب الشعار الى بعض الاحـزاب التقليـديـة ثم تلقفه القوميون بأصولهم وفروعهم المختلفـة ممن تتلمذوا على بعض قادة الماركسية في فرنسا، وكان في مقدمة هؤلاء عفلق والبيطار.

وبـأكثـر معاني الاشتراكية هلامية كان ميشيل عفلق يتنادى في الاربعينات: «اذا كنت أدعو الى الاشتراكية، فلكي لا تحرم الحياة من مواهب هذه النفـوس وقـواها الدفينة وجهودها الحرة الخصبة ما نظرت الى الاشتـراكيـة في يوم من الايـام كواسـطة لاشباع الجياع وإلبـاس العـراة فحسب، ولا يهمني الجائع لمجرد كونه جائعا، بل للممكنات الموجودة فيه التي يحول الجوع دون ظهورها». وقد عرف عفلق الاشتراكية بأنها «دين الحياة وظفر الحياة على الموت»[2].

وأضاف الى هذا الفهم الادبي العاطفي الانساني للاشتراكية، بعض النقد للنظر الماركسي لهذا المفهوم اذ اعترض في سنة ١٩٤٣ على الاعتبـار بالعـامل المادى وحده لتفسير صراع المجتمعات قائـلاً: «ان الآخذين بتعليل الدين تعليلاً مادياً ليخالفون واقع التاريخ والنفس الانسـانيـة من جهـة، ويطعنون العرب من جهة اخرى في أثمن

---

(١) د. الياس فرح، تطور الفكر الاشتراكي للبعث

(٢) ميشيل عفلق، في سبيل البعث.

ميزاتهم، فى مثاليتهم، فلقد رأينا قريشاً عندما اضطرتها مصالحها المادية ان تهادن الرسول فى صلح الحديبية تصر ان تنكر عليه وحيه ودينه الجديد»[١]

وبالطبع فهنالك خطأ تاريخى هنا اذ ان قريشاً لم تضطر ابداً لصلح الحديبية لسبب اقتصادى، وانما فرضت شروطاًمتفوقة فى ظاهرها وكانت ظاهرياً متغلبة على المسلمين!

واتسعت الهوة مع الفكر الماركسى اكثر بسبب مواقف الماركسيين الرافضة للقومية وللوحدة على أساسها فاضطر ميشيل عفلق فى ١٩٤٤ الى مهاجمة الماركسية فى عدة محاور، واصفاً اياها بالغرابة اذا انها «وليدة الفكر الاوروبى والاوضاع الاوربية الحديثة» ناسياً ان القومية نفسها فكرة اوربية صرفة متهماً الشيوعية بالتنكر لتاريخ الامة العربية المستقل عن التاريخ الغربى ولرسالة الامة العربية الخاصة وانها عوضاً عن ذلك تعمل على الحاق العرب بالعالم الحاقا متحيزاً الى الفريق المرتبط بالاتحاد السوفيتى كما اتهم الشيوعية بانها «تمنع العرب من التفكير فى اشتراكيتهم والاهتداء اليها، لانها بإدعاء ان الاشتراكية هى الماركسية وان لا اشتراكية الا فيها وبها، قد شوهت الاشتراكية الصحيحة التى يحتاجها العرب»[٢]

وبدلا من ان يستمر هذا التباعد عن الماركسية باتجاه الاصالة الفكرية والوطنية، اذا بفكر البعث يزداد انحرافا بالماركسية على مر السنين. فهاهو دستور الحزب فى ١٩٤٧ يتبنى مفهوما قريبا من مفهوم الصراع الطبقى لأجل تحقيق الاشتراكية، اذ يؤكد فى مادته السادسة ان «حزب البعث حزب انقلابى يؤمن بأهدافه الرئيسية فى بعث القومية العربية وبناء الاشتراكية لا يمكن ان يتم الا عن طريق الانقلاب والنضال وان الاعتماد على التطور البطىء والاكتفاء بالاصلاح الجزئى السطحى يهددان هذه الاهداف بالفشل والضياع..

كما اخذ الدستور يتحدث صراحة عن اشتراكية الاصلاحى الزراعى

---

(١) المصدر السابق ص

(٢) المصدر السابق ص

وتحـديـد الملكيــة الزراعية والصناعية والعقارية والتأميم وربط الارث بالوظيفــة الاجتمـاعيــة من بداية الخمسينات بدأ الحزب يضع اعتبارا خاصا للطبقة العاملة باعتبارها أداة تنفيذ الثورة المرجوة ضد الاوضاع العربية البرجوازية شبه الاقطاعية.. واخذ ميشيل عفلق يعبر عن نظرية فائض القيمة الماركسية ولكن بصيغته الادبية المطاطة غير المنضبطة..

ففي خطاباته الجماهيرية التى خاطب فيها العمال فى ١٩٥٠، كان يعرف الاشتراكية تعريفا بسيطا بأنها:«كما يفهم من لفظها هى أن يشترك جميع المواطنين فى موارد بلادهم بقصد ان يحسنوا حياتهم وبالتالى حياة امتهم»[١]

كما كان ينادى بالرجوع «للحالة الطبيعية المشروعة وان ينال كل ذى حق حقه حسب جدارته وكفاءته».[١]

ثم اخذ يؤكد فى ١٩٥٦ على طبقية من نوع خاص فى فكر الحزب.. «ليس فى فكرة الحزب طبقية بالمعنى الذى تفهمه الماركسية ولكن فيه طبقية. اى اننـا نعترف بها وان كنا لا نتبنى المفهوم الماركسى لها. فالماركسية أقرت حقيقـة واقعة عندما قالت بأن الصراع فى هذا العصر هو بين الطبقات وجعلته بهذا قانون التطور التاريخى وهى محقة فى تعليلها واستقرائها لميزات هذا العصر. اذن هناك صراع بين الطبقات لا يجوز تجاهله، الا ان المـاركسيــة انـطلقت من نظرة وجعلت هذا الصراع على النطاق العالمى الاممى وتجاهلت الى حد بعيد اذا لم نقل انها تجاهلت تماما، هذا التكون التاريخى الحى للقوميات حين اعتقدت بأن الروابط التى تجمع الطبقة العاملة المستغلة فى جميع بلدان العالم هى أقوى بكثير من الروابط التى تجمع طبقة معينة فى أمة بقوميتها».[٢]

ويؤكد ميشيل عفلق أن الصراع الطبقى هو شكل واحد من أشكال الصراع التى يتبنـاها ويخطط لها حزب البعث وهنالك صراع ضد التجزئة فى الوطن العربى وضد من يدعون إلى مفهوم القطرية وهنالك صراع ضد التخلف فى الفكر والسياسة والاقتصاد وضد من يرعى

---

(١) المصدر السابق ص ٣١٣

(٢) المصدر السابق ص ٣١٥

ويتبنى ويستفيد من هذا التخلف وهلم جرا من أنواع الصراع «فنحن اذن لا نستطيع ان نقول اننا قسمنا أمتنا الى طبقات أو طبقتين أن رجل دين مثلا يبذر بذور التعصب، وهو فقير لا يملك ثروة يسىء إلى الشعب بقدر ما يسىء الرأسمالى المستغل للعمال والاقطاعى للفلاحين». (٤١)

وهكذا لم يجد مثالا يستدل به الا مثال رجل الدين الفقير مما يكشف حنقه المهين على الدين ونيته الشريرة على افتعال الصراع معه.

ثم تأتى المنطلقات النظرية للمؤتمر السادس لحزب البعث لتحطم كل التحفظات وتتبنى الأقوال الفلسفية للماركسية كاملة فيما يتصل بقضية الملكية الخاصة وعلاقات الانتاج فتقرر: «ان الاعتراف بالملكية الفردية بشكلها المطلق ورغم تضييق نطاقها هو ضرب من المفهوم البرجوازى الصغير لأن المفهوم الاشتراكى العلمى يعتبر العمل الانسانى المصدر الوحيد للقيمة ولذا فان الملكية الفردية اذا تعدت نطاق الاستعمال الشخصى لابد أن تكون مستغلة مهما كانت الرقعة التى تمارس فيها الملكية نشاطها ضيقة ونسبة المردود الذى تعطيه منخفضة» [1]

ولا شك أن الحزب قد وصل أخيرا إلى جوهر النظرية الماركسية القائم على الغاء الملكية الفردية، وتغيير علاقات الانتاج المعروفة، وإعلان أن العمل وحده هو القيمة التى تستحق عائد الانتاج..

وهذه النظرية العدائية للملكية الخاصة هى نظرة الشيوعيين الذين يرون الملكية الخاصة، أصل كل الشر والفساد والاضطراب الموجود فى المجتمعات. فالملكية الخاصة أدت إلى نشوء الأسرة من أجل التعاون على الانتاج، ثم اتحدت بعض الاسر لتكون وحدات انتاج نشأ عنها الاقطاع، ثم نشأت الرأسمالية وحدث الظلم الطبقى الكبير.. فاذا أردنا معالجة هذا الظلم كله، فلابد من تقويض الأساس الذى ارتكز عليه، وهو أساس الملكية الخاصة.. وكما يقول الامام المودودى فكأن الماركسيين يعملون فى هذا بقول القائل: اذا أردت ان تمنع الفراشة ان تقع فى النار فامنع النحلة ان تدخل البستان.. وذلك

---

(١) المنطلقات النظرية للمؤتمر السادس لحزب البعث ص ٧٧

ان النحلة ترتشف من زهر البستان الرحيق الذى تصنع منه العسل، الذى يستخلص منه الناس الشمع، الذى يوقدون منه النار، التى يتساقط عليها الفراش!!

وفى اعتقاد الماركسيين ان الملكية الخاصة تتنامى باستمرار لتصل الى حد الاحتكار، ثم لتصل الى حد الامبريالية كما أوضح ذلك «لينين» فى رسالته المشهورة: (الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية) حيث قال: (ان نمو الصناعة الهائل والسرعة الكبرى فى سير تمركز الانتاج فى مشاريع تتضخم باستمرار، هما خاصية من أخص خصائص الرأسمالية) وضرب لذلك مثلا بألمانيا حيث: (كان يوجد بين كل ألف مشروع صناعى فى ١٨٨٢-٣ وفى ١٨٩٥-٦، وفى سنة ١٩٠٧-٩ من المشاريع الكبرى) اما فى امريكا فقد قال: (ان نحو نصف مجموع ما تنتجه[1] جميع المشاريع فى البلاد فى أيدى جزء من مائة جزء من مجموع عدد المشاريع!!)

هذه الآراء القديمة المتخلفة التى ظهرت فى ١٩١٦م والتى أثبت تطور الاقتصاد والصناعة خطلها وزيفها، هذه الآراء ما يزال يتبناها حزب البعث ولا يبالى بما ثبت بشكل قاطع فى الغرب من أن قانون تركيز رأس المال الذى بشر بظهوره «ماركس» و «لينين» لم يحكم قبضته بشكل حتمى، كما ادعى نبيا الشيوعية الخرافيان. وقد ظهرت فى الغرب تشريعات وتصميمات جديدة تكافحه، وظهر نمط شركات المساهمة، التى وزعت الملكية على أكبر عدد ممكن من المساهمين، فشركة رأسمالية عريقة مثل شركة «فولكس واجن» مثلا لم تجنح إلى مزيد من التركيز والاحتكار، وانما تمددت ملكية اسهمها لتشمل ما يزيد على المليون والنصف من الملاك واما فى امريكا فقد قارب عدد ملاك أسهم شركة التلفونات والتلغراف المليونى شخص..

واما تبنى البعث لمفهوم «إن العمل الانسانى هو المصدر الوحيد للقيمة» فهو الآخر تبن لمفهوم ماركسى فظيع الشطح، يتنكر لعوامل الانتاج الأخرى مثل رأس المال، والادارة والمواد الخام، وهو مفهوم عاد الماركسيون يخجلون منه وينتحلون له التفسيرات، ولكن البعثيين - ورثة الماركسية الجدد - أبوا الا ان يبعثوا فيه الحياة..

---

(١) فردريك لينين، الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية

وبناء على هذا الفهم الصبيانى الدوغمائى للاشتراكية، قامت معركة التطبيق الفورى فى كل من سوريا والعراق. حيث لم يتدرجوا ولم يستثنوا حتى ممتلكات الافراد الصغيرة، من إجراءات التأميم العشوائى: «جئت لسوريا فى تلك الفترة واذا بالرفاق فى أوج نشوة النصر يتحدثون ضاحكين، عن بعض الأخطاء الصغيرة، كتأميم معمل كبريت، قوامه طنجره تحتل غرفة من بيت صاحبه وعن السرعة فى المهارة فى الاستيلاء. وأظننى الآن فى غنى عن الحديث عن وضع المعامل وتدهورها من سوء الاستعمال وعدد العاطلين عن العمل فى قلب المعامل الذين يتقاضون راتبا على كسلهم» [1]

وقد كانت نتيجة ذلك التأميم ان هبط انتاج العامل فى مصانع النسيج السورية الى ادنى نسبة انتاج فى العالم، اذ لم يعد ينتج أكثر من سبع مكوكات فى اليوم، بينما رصيفة اليوغسلافى ينتج ٦٠ مكوكا واليابانى ٢٦٠ مكوكا.

وتشرد رأس المال السورى المحلى من جراء إجراءات المصادرة والتأميم وهرب إلى لبنان ليساهم فى تعميرها، بينما أخذ الاقتصاد السورى فى التراجع والاضمحلال، وانتهب بقيته قادة الدولة والحزب عندما وضعوا ايديهم على القطاع الاقتصادى.. وأما فى العراق فقد ساهمت ثروة البترول فى تغطية آثار الاشتراكية الرعناء، وكذا ساهمت المساعدات المختلفة التى حصل عليها العراق.

والغريب انه مع بيان فساد طريق الحل الاشتراكى فى كل مكان نكب بالاشتراكية فى الوطن العربى، ومنه السودان، الا ان حزب البعث ما زال ينادى بهذا الشعار البائد فى السودان، اذ يحدثنا كتيب «الايدولوجية» الذى أصدروه بعد الانتفاضة قائلا: «اما الاشتراكية فهى الحل الجذرى الحاسم لمسألة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى الوطن العربى» !!

---

(١) د. سامى الجندى، البعث، ص ١٥١

الفصل السادس

بينما يؤكد دستور البعث احترام الحرية، تؤكد المنطلقات النظرية احتقارها للعمل البرلماني، وتؤكد الممارسات العملية اجتياح كافة حقوق الانسان . .

البعث والحرية

لا يزال مفهوم الديمقراطية يحمل معاني عديدة، تتكاثر من حولها التعريفات، وتختلف تطبيقاتها من قطر لقطر، ومن شعب لشعب، ومن عصر لعصر..

أما اول صياغة لمفهوم الديمقراطية، فقد تمت في عهد الاغريق، اذ صيغ في كلمتين هما «demos» و" Krtien " والاولى منهما. بمعنى الشعب، والثانية تعني يحكم.. والمعنى العام هو حكم الشعب، ولعل افضل التعريفات واكثرها ذيوعاهو الذي يقول: (ان الديمقراطية هي حكم الشعب بالشعب للشعب)..

وهناك نوعان رئيسيان من انواع الحكم الديمقراطي. اولاهما الحكم الديمقراطي المباشر، حيث يجتمع الشعب باكمله لمناقشة مختلف القضايا وحسمها بالتصويت المباشر، وهذا ما كان موجودا في مدينة اثينا سالفا، وما يوجد اليوم في مدن نيو انجلند. واما النوع الثاني فهو الحكم الديمقراطي غير المباشر، حيث ينتخب الشعب ممثلين ينوبون عنه في مناقشة القضايا والبت فيها في البرلمان.. وهذا ما يوجد في معظم الدول الديمقراطية في العالم اليوم..

غير ان المعنى الاساسي للديمقراطية قد بات يشير بوضوح الى امور مثل حرية الكلام وحرية الاجتماع وحرية السكن وحرية التنقل وحرية اختيار الحكام وتبديلهم.. او ما يشير عموما الى حرية المواطن واستقلال الوطن..

وفي ضوء هذه المفاهيم سننظر الى الفكر البعثي في منطلقاته النظرية كما سننظر الى تطبيقاتها المنعكسة على وضع المواطن والوطن.

حرية المواطن:

تحدثنا المادة الخامسة من المباديء العامة لدستور حزب البعث بأن: «حزب البعث العربي الاشتراكي، شعبي يؤمن بان السيادة هي ملك الشعب، وانه وحده مصدر كل سلطة وقيادة، وان قيمة الدولة ناجمة عن انبثاقها عن ارادة الجماهير. كما ان قدسيتها متوقفة على مدى حريتهم في اختيارها ، لذلك يعتمد الحزب في اداء رسالته على الشعب،

ويسعى للاتصال به اتصالا وثيقا».[1]

وتنص المادة (١٤) من دستور الحزب على ان: «نظام الحكم في الدولة العربية هو نظام نيابي دستوري، والسلطة التنفيذية مسئولة امام السلطة التشريعية التي ينتخبها الشعب مباشرة».وتنص المادة (١٧) على ان «يعمل الحزب على تعميم الروح الشعبية (حكم الشعب) وجعلها حقيقة حية في الحياة الفردية ويسعى الى وضع دستور للدولة يكفل للمواطنين العرب المساواة المطلقة امام القانون والتعبير بملء الحرية عن ارادتهم، واختيار ممثليهم اختيارا صادقا ويهيء لهم بذلك حياة حرة ضمن نطاق القوانين».. واما المادة (١٨) فتنص على ان: «يوضع بملء الحرية تشريع موحد للدولة العربية منسجم مع روح العصر الحاضر وعلى ضوء تجارب الامة العربية في ماضيها.[2]

هذا وقد كفل البند الخامس من المادة (٤٠) من الدستور حق: «تأليف نقابات حرة للعمال والفلاحين، وتشجيعها لتصبح اداة صالحة للدفاع عن حقوقهم ورفع مستواهم وتعهد كفاءاتهم وزيادة الفرص الممنوحة لهم»، كما كفل البند الرابع من المادة (٤١) حق تأسيس النوادي وتأليف الجمعيات والاحزاب ومنظمات الشباب الخ ولكن في حدود الفكرة القومية فقط.[3]

وأما بيان مقررات المؤتمر الاول فقد اكد ان: حرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والفن مقدسة، لا يمكن لاي سلطة ان تنتقصها[4] .. وقد كان عميد حزب البعث العربي، الاستاذ ميشيل عفلق، تبعا لهذا البيان يرسل برقيات الاستنكار والشجب الى الحكومة كلما تعدت على حقوق الانسان. وفيما يلي هذا الانموذج المتمثل في البرقية التي ارسلها الاستاذ عفلق الى الحكومة السورية في ١٩٤٨م:

«فخامة رئيس الجمهورية،

الحكومة تعمل الذبح والتقتيل في ابناء الشعب بهمجية واجرام لم تعرفهما البلاد من قبل، الدم يصبغ الشوارع والقتلى بالعشرات

---

(١) راجع دستور الحزب المنشور في كتاب «نضال البعث» الجزء الاول دار الطليعة ـ ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٧٤

(٢) المصدر السابق ص ١٧٦

(٣) المصدر السابق ص ١٨٠

(٤) المصدر السابق ص ١٨٣

والجـرحى بالمئات، نطلب اليكم التدخل السريع لاقالة هذه الحكومة الباغية وتلبية رغبات الشعب في تشكيل حكومة شعبية موثوقة تحاكم المسؤولين عن هذه الجرائم وعن كل ما اصاب الوطن والمواطنين من كوارث في هذا الدور، وتحـل المجلس النيابي وتجري انتخابات حرة نزيهـة ليعـود الى الشعب اطمئنـانه ويقوم في البلاد حكم بعيد عن الطغيان والسرقة والتزوير والتآمر». (١)

ان هذه الافكار النظرية حول الحرية، تهدمها افكار نظرية اخرى حول الحرية، اصدرها حزب البعث بعنوان: «المنطلقات النظرية» التي تمخض عنهـا المـؤتمر السادس لحزب البعث الذي انعقد في اكتوبر ١٩٦٣م وفيها يعترف الحزب بايمانه بالحل العسكري وبعدم تقديره للديمقراطية الليبرالية.

تقول المنطلقات عن اتجاه الحزب للعمل العسكري: «لقد برهن الحـزب عن اصـالة ثوريـة عنـدمـا اتجه للعمل النضالي في القطاع العسكري، لان الازمة الشاملة العميقة التي يعانيها شعبنا، لابد ان تمس هذا القـطاع من جهـة، ولان العمل الثوري يقتضي تحريك كل القوى في سبيل انتصار القضايا القومية والاشتراكية» (٢) .. واكثر من ذلك فان هذه المنطلقات، تسخر من تمرس بعض منظمات الحزب بالعمل الديمقراطي الليبرالي، في بعض الاقطار الديمقراطية، اذ تقول: و«بالرغم من ان منـطلقـات الحـزب كانت ثوريـة الاسلوب، في نظرتها للتغيير الاجتماعي، الا انه في الاقطار التي يتوفر فيها مناخ سياسي لقيام واجهة برلمانية، في فترات متقطعة، مارس الحزب اللعبة البرلمانية، بشكل اوحى بانه يقبل بالنظام البرلماني، بمفهومه البرجوازي الليبرالي، اطارا ثابتا، وكافيا، للنضال والعمل السياسي». (٣)

وتشكـك وثيقة المنطلقات النظرية في جدوى البرلمانات كطريق للتحـويل الاشتراكي، وتصفها بانها برلمانات برجوازية.. وتدين هذه الوثيقـة الحـزب لانـه: «كاد يغرق في بعض الفترات في ميدان العمل البـرلمـاني وينسى القضية الاساسية، قضية التنظيم الجماهيري»..

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٠

(٢) المنطلقات النظرية للمؤتمر السادس لحزب البعث.

(٣) المصدر السابق ص ٥٩

وبالطبع فليس ثمة تناقض ما بين العمل البرلماني والتنظيم الجماهيري، الا اذا كان يقصد بالعمل الجماهيري عمل الحزب الواحد، وتشكيل الحزب الاوحد في البلاد.

وتنعي الوثيقة على كوادر الحزب انزلاقها في العمل البرلماني فتقول: «ان انزلاق بعض فروع الحزب في بعض الفترات، الى تبني البرلمانية، قد دفع بها الى محاولة اكتساب اصوات الناخبين بطريقة تقليدية، تهبط الى الحالة الراكدة للجماهير»[1].. وهكذا تقدم هذه المنطلقات اساءة بالغة اخرى للجماهير، وتحملها وزر تردي كوادر الحزب وانزلاقها..

وتؤكد الوثيقة صراحة ايمانها بمبدأ الحزب الواحد، الذي هو حزب البعث، ومصادرة حق الاحزاب الاخرى في الوجود إذ: «ان ربط قضية الديمقراطية على نحو مجرد ومطلق بمبدأ تعدد الاحزاب يمثل المنطق البرجوازي في فهم الديمقراطية. ان هذه القضية يجب ان تفهم دوما على اساس الظروف التاريخية الملموسة للصراع الاجتماعي السياسي. ان حزبا رئيسيا يقود جبهة من القوى السياسية تمارس السلطة الثورية لا يؤدي بالضرورة الى الابتعاد عن الديمقراطية، ان مبدأ الحزب القائد اصبح امرا تمليه الضرورة المرحلية لوجود سلطة مركزية ثابتة تقود عملية البناء الاشتراكي»[2].

وبهذا القفز على المسلمات والمنطق يقول حزب البعث ، ان تعدد الاحزاب هو مجرد فهم برجوازي للديمقراطية، واما الفهم الصحيح للديمقراطية فهو الذي يتم بوجود حزب واحد يقود جبهة من التنظيمات الامّعات، التي لا تختلف مع الحزب القائد في شيء!

وأما طريق الوصول الى الحكم، فهو ليس الا الطريق الانقلابي، فالبعث لا يؤمن بطريق الانتخابات، ولا بطريق الثورة الشعبية اذ انه ليس الطريق الذي يمكن ان يوصل الحزب الى مقاعد الحكم، ولذلك عمل الحزب باكرا على التسرب في صفوف الجيش لاستخدامه للوصول الى منصة الحكم.. وفي مداخلة جرت قبل سنوات بين الدكتور علي الدين

---

(١) المصدر السابق ص ٦٠

(٢) المصدر اسابق ص ٦٢

هلال، والدكتور صلاح الدين البيطار، سأل الدكتور هلال قائلا: «هل الاحزاب السياسية المدنية اخطأت عندما بدأت بمحاولة التغلغل في الجيش، وفي تغيير نظام الحكم، لا بالاساليب الديمقراطية التمثيلية النيابية ، وانما عن طريق العنف المسلح او الانقلاب العسكري؟!

وأجاب الدكتور البيطار:

«جرى اتصال بين الاحزاب وبين ضباط في الجيش، ومنها حزب البعث من اجل ان يتركوا الجيش ليكونوا قادة الجيش الوطني، وهكذا حدث، الى ان سلم الفرنسيون الجيش ثم جلوا عن البلاد. بعد الاستقلال دخل كثير من الطلاب الحزبيين والبعثيين في الكلية العسكرية. وهم إذ فكوا ارتباطهم التنظيمي بالحزب وفقا لقانون الجيش، الا الا أنهم على اتصال برفاقهم الحزبيين في الجامعة، طبعا لم يحدث تثقيف سياسي لهم ، لقد استندت الانقلابات ولا سيما الانقلاب الاول الذي قام به حسني الزعيم في ٣٠ آزار/ مارس ١٩٤٩ على هؤلاء الضباط الشباب الوطنيين، ثم اصبح للضباط وجود سياسي في مؤسستهم، فاذن هناك ظروف موضوعية جعلت علاقة الحزب بالجيش وطيدة»[١].

وبوسيلة الانقلاب العسكري وحدها، سيطر البعثيون على الحكم في كل من سوريا والعراق عدة مرات، وقد استعرضنا طرفا من ذلك عندما استعرضنا تاريخ الحزب في هذين القطرين.. ولكن لنرى ما مصير بلد يقفز حكامه الى الحكم بغير الوسائل الديمقراطية المشروعة، وماذا يمكن ان يصنع هؤلاء الحكام بالمواطن: حليفا كان او محايدا او خصما؟!

هذه نماذج يحكيها لنا ـ لحسن الحظ ولسوئه ـ بعثيون..

يقول الاستاذ منيف الرزاز الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي: «اني اكتب هذه الصفحات، واوضاع العنف في سوريا ليس لها مثيل في تاريخها.. ان الذي يجري في سوريا الان لم يجر مثله الا في العراق في عهد عبد الكريم قاسم، حين تولت كتائب الشيوعيين المسلحة عمليات الضرب والقتل والسحل في الشوارع.. كانت كل شمس تطلع

---

(١) جرت المداخلة في خلال ندوة «القومية العربية في الفكر والممارسة» التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت في المدة من ٢٦ الى ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩ ونشرت في كتاب يحمل اسم الندوة صادر عن المركز في ١٩٧٠ ص ٤٠٤ وص ٤١٢.

تحمل مجددا باسماء جديدة تضم الى القائمة المعتقلة او المطلوب اعتقالها حتى جاوزت المئات، ولما ضاقت بهم السجون نقلوا معظمهم الى تدمر، ذلك المعتقل الصحراوي البعيد، وحرموا المعتقلين كل اتصال بذويهم، مما لم يحصل مثله في سجون الاردن ومعتقلاته التي قضينا فيها سنوات»[(١)]

ويحدثنا صلاح الدين البيطار احد منشئي الحزب في بيان اصدره ضد الانقلابيين الشباطيين:

«إن نظام حكم القطريين ينظر الى الفرد كبهيمة، والى المجموع كقطيع، والى الناس بروح التمييز المدمر، التمييز الطائفي والعنصري والعشائري والحزبي.. ان المواطن يعيش في ظل الخوف الدائم والارهاب الاسود من اجهزة المباحث والمخابرات والدولة التي جعلت كل همها مكافحة الشعب.

انه غير آمن في بيته، وغير مطمئن على ملكه ورزقه وحياته. ثم انه مراقب ابشع مراقبة في حركاته وسكناته، محاسب على همس الشفاه، وعلى الرسائل والهاتف، معرض لان يختطف من بيته ويستل من بين افراد اسرته، ويساق لجهة مجهولة، الى السجون والاقبية والامتهان، والاذلال والقتل، وهو اجراء روتيني عند محترفي هذه المهنة في اجهزة المباحث والمخابرات. ان حرية الدين والعقيدة والضمير، وحرية الفكر والتعبير، هي مجرد كلمات لا معنى لها ولا وجود لها في قاموس نظام حكم القطريين»[(١)].

وأما الدكتور سامي الجندي احد منشئي حزب البعث فقد حملت صفحات كتابه (البعث) ما هو اشد وخزا وايلاما اذ يقول:ـ

«مع اوائل سنة ١٩٦٤م اخذ سجناء المزة يخرجون فعلمنا اشياء تقشعر لها الابدان. لم يكن يخطر لي ابدا ان يكون البعث العربي استمرارا للسوط، كان العسكريون يخفون عنا كل شيء. ذهبت مرة الى السجن واستقصيت وسألت فاجبت هناك ان المعاملة حسنة، لم يجرؤ

(١) في كتاب التجربة المرة ص ١٩٩ نقلا عن كتاب الحركات القومية الحديثة في ميزان الاسلام ، من تاليف منير محمد بخيت ، مكتبة المنار ، الزرقاء الاردن ، ١٩٨٣ ص ٨٨ ـ ٨٩

(٢) ورد البيان في كتاب :ـ النكسة والغزو الفكري لمحمد جلال كشك ، مكتبة الامل بالكويت ، ١٩٦٩م ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

المعذبون ان يقولوا شيئا. زارني احدهم في بيتي وأراني رجله، اصبت بالدوار. كنت انا اذن من زمرة حملة السياط، جلادا من الجلادين».[1]

ويصف الدكتور الجندي مشهد اعدام بعض الناصريين على ايدي البعثيين: «ذهبت الى وزارة الاعلام كي اشرف على نشرات الاخبار والتعليقات، فجاءني احد موظفي التلفزيون يقول لي: هناك شريط ارجو ان تراه قبل اذاعته، لا اجرؤ ان اعترض عليه انا، وارجو الا يعلم احد اني نبهتك اليه.

وفي ستديو التجربة رأيت ما لا يصدقه العقل، رأى اعضاء المحكمة ان يشترك الشعب بمباذلهم فلا تفوته مسرات النصر فعمدوا الى تسجيل مشاهده: الاعدام من المهجع الى الخشبة، عملية عصب العينين، الامر باطلاق النار، ثم يندلق الدم من الفم، وتنطوي الركبتان، وينحني الجسد الى الامام، بعد ان تتراخى الحبال نفسها، وفمه مفتوح كي يقبل امه الارض.

لم اقل شيئا. خرجت فسألني احد الضباط مرحا: كيف رأيت يا دكتور؟ قلت: اهذا هو البعث؟ قال: لم افهم. قلت: لن تفهم!»[2]

وهكذا رجع البعثيون الى ما دون مستوى الحيوانية الوحشية، اذ ان الوحش نفسه لا يقتل من اجل التسلية، ولا يتلذذ بقتل ضحيته، كما لا يتمتع بهذا الحرص على نشر هذه المناظر والمشاعر السادية بين الجماهير..

ومنذ ان اعتلى حافظ الاسد السلطة في ١٩٦٩، اخذ في الاعتماد على طائفته النصيرية في البطش بالشعب، وقتل في وقت مبكر عددا من قادة الاخوان من بينهم حسن عصفور الذي قتل تحت التعذيب، واحمد زلف، وغزوان علواني، ومروان حديد، واستمرت الاعتقالات والاهانات، ولم تنقطع ممارسات التعذيب المروعة في السجون، ومنعت السلطة مختلف النشاطات الاسلامية العامة حتى احتفالات المولد.

واضطرت حركة الاخوان الى اعلان الجهاد ضد حزب البعث، وعناصر مخابراته الاجرامية التي عذبت الاخوان في السجون، بعد ان منعتهم من الدعوة السلمية. وفي داخل سجن تدمر الصحراوي جرت

(١) د. سامي الجندي، البعث، ص ١٤٧

(٢) المصدر السابق ص ١٣١ ـ ١٣٢

واحـدة من ابشـع المذابح الجماعية على مر التاريخ، اذ ارسل حزب البعث زبـانيتـه الاوبـاش، المشربين بالحقد الاسود، ليذبحوا مئات الاخوان الاسرى في دقائق معدودات..

ولاعـطاء صورة عامـة عن هذه المـذبحـة المهولة فهذه بعض اعترافات هؤلاء القتلة حسبما اوردتها صحيفة «الرأي العام» الاردنية،

وكان بعض مجرمي تلك المذبحة قد ارسلوا لاغتيال رئيس وزراء الاردن، فقتلوه، وقبض عليهم هناك وسجلوا هذه الاعترافات.

ومن بين هؤلاء القتلة سجّل المجرم اكرم بيشاني هذه الافادة:

س: ممكن تقدم نفسك؟

ج: انا اكرم علي جميل بيشاني من محافظة طرطوس قرية يحمور مواليد سنة ١٩٦٢م. اعزب شهادتي الصف السادس الابتدائي علوي، اسم والدي علي جميل بيشاني علوي، اسم امي حليمة يعقوب والاثنين حاليا يقيموا في قرية يحمور..

ايش المهمة الاولى؟

ج: المهمة الاولى هية مهاجمة سجن تدمر حيث انه بعد محاولة اغتيال الرئيس حافظ الاسد بالشهر السادس السنة الماضية ايقضونا بعـد بيـوم يعني، حثونا من المهجع حوالى الساعة الثالثة والنصف صباح وقالوا لنا اجتماع بالسينما في قاعة السينما الموجودة في اللواء مع فيـه السـلاح الميداني الكامل وطلعنا وصلنا على السينما بلشت المجمـوعـات تتـوافـد اللي قادنـا بالسينما كان عدد المجموعة حوالى المجمـوعة الموجودة في السينما من اللواء ٤٠ حوالى ١٠٠ عنصر مع ثلاث ضبـاط وبعـدين إجا قائد اللواء اجتمع فينا والقى كلمة. بعد الكلمة قال هوه انه الاخوان المسلمين قتلوا ضباط قتلوا المشايخ قتلوا الاطبـاء وبـالنهـايـة حاولوا اغتيال الرئيس حافظ الاسد وهلا بدنا نكلفكوا باول مهمة قتالية وطلعنا بعدين من اللواء ٤٠..

١٠٠ عنصر

بسيارات وصلتنا الى مطار المزة، اكان موجود هناك بالمطار هناك مجموعة من اللواء ١٣٢ يقدر عددها بحوالى ١٠٠ عنصر واللواء ١٣٢ قائده المقدم علي ذيب علوي قضاء اللاذقية، فاهناك كمان كان موجود ٩

طائـرات هيلوكبتـر، جمعونا هناك على شكل مجموعات وكل مجموعة تسلمها ضابط وطلعونا على الطائرات الموجودة هناك وكل طائرة تسع لحوالي ٢٤ عنصر، وطلعنا من مطار المزة كان قائد العملية هناك يعني اللي هوه قائد اركانه للمقدم علي ذيب علوي من قضاء اللاذقية بس ما بعرف شو اسمه اقلعنا الى مطار تدمر هناك يعني اقلعنا حوالي الساعة الخـامسة وصلنا هناك حوالى الساعة السادسة او السادسة وعشرة دقائق فاجمعونا هناك وطلب قائد العملية المقدم اجتماع للضباط، جمع الضباط وقال لهم اعطوا العناصر استراحة حوالي ثلاث ارباع الساعة وبعـد الاستـراحـة ثلاث ارباع الساعة قسمونا على شكل مجموعات فاللواء ٤٠ كان على شكل ثلاث مجموعات، وكل مجموعة استلمها ضابط واخذوا ينتقوا العناصر اللي بدها تدخل الى سجن تدمر بشكل عشوائي مثـلا الواحد بيعرف اسمه يأشر له بأيده انه تعال انتقوا حوالى ٨٠ عنصر كذلك حوالي كمـان انتقوا حوالي ٢٠ عنصر لحراسة الطائرات والباقي خلوهم على شكل احتياط في المطار، بعدين توجهت العناصر اللي انتقوهم يطلعوا حوالي ٨٠ عنصر هذا اللي بدهم ينفذوا العملية داخل السجن توجهوا على شكل مجموعات بسيارة نقلتهم الى داخل السجن بعد ثلاث ارباع الساعة من دخولهم الى باب السجن الخارجي بدأنا نسمـع صوت اطلاق نار دوي انفجار صوت قنابل يقدر عدد القنابل بحـوالى ٧ قنـابل تفجرت هناك، ودام اطلاق النار حوالي ثلاث ارباع الساعة كمان بعد طلع العناصر من السجن مثل ما دخلوا طلعوا على شكل مجموعات.

س: انته كنت مع اى مجموعة؟

ج: انا كنت مع مجموعة الاحتياط يا اللى ظلت هناك في المطار، ، بقى لما طلعوا العناصر من السجن كان فيه بعض الناس ملطخين دماء مطلطخين ثيابهم بالدماء بعرف اسماء يا اللى تلطخوا ثيابهم بالدماء هوه الملازم الرئيس عبدالله، الملازم منير درويش، الرقيب على محمد موسى وطلعنا كل واحد على الطائرة.

س: من اللواء ٤٠ والا؟

ج: لا من اللواء ٤٠ هدول، طلعنا بعدين على الطائرات مثل ما أينـا ورجعنـا الى مطار المزة حوالى الساعة الثانية عشرة الظهر، كان

منصاب معنا واحد والشى اللى خلانى اعرف انه انصاب معنا واحد فيه الملازم اول ياسر باكير من اللواء ٤٠ قال وجه كلامه لكافة العناصر انه قائد اللواء بده يجتمع فينا هلا فى السينما اذا سأل عن الانسان يا اللى انصاب قولوا له انـه طلقة مرتدة، ضربت فى الحائط ورجعت عليه بعدين انصاب قلنا له ماشى الحال وطلعنا بالسيارات واتجهنا اتجاه اللواء ٤٠ واجتمعنا فى قاعة السينما

س: جميعكو اتجهتوا مع بعض انتوا وأفراد اللواء ١٣٨ والا ٤٠ لوحده؟

ج: اللواء ٤٠ لحاله وهذولاك راحو على المعسكر تبعهم فاللواء ٤٠ ناس يعنى يا اللى إشتركوا من اللواء ٤٠ اجتمعوا فى السينما واجا قائد لواء القى فيهم كلمة شكر.

كلمة شكر!!

س: اللى هوه الرائد معين ناصيف؟

ج: الرائد معين ناصيف القى فيهم كلمة شكر بذكر منها انه انتوا قمتوا هلا بعمل بطولة بعمل رجولة مع العلم انه لاول مرة بنكلفكوا بهيـك مهمـة، بعدين طلعنا من قاعة السينما واخذ يعنى كل انسان يتحـدث مع زميله فالتقيت انا مع احد زملائى هناك وهو الرقيب على محمد موسى من مفرزة حراسة الرائد معين ناصيف سألته لانه هو من الجماعة يا اللى دخلوا على السجن نفسه انه شلون هناك تمت العملية قال لى انـه قسمـونا على شكل مجموعات كل مجموعة كانت حوالى ٨ عناصر وكل مجموعة تسملها ضابط كانوا يفوتوا يعنى ـ حسب ما قال لى ـ كانـوا يفـوتـوا الى الغـرفـة يا اللى فيها السجناء يفتحوا الباب ويطخوهم مباشرة بدون سؤال بدون اى كلام فقلت له طيب هذولاك ما كانوا يستنجدوا قال كانوا يستنجدوا ويقولوا الله اكبر كانوا يقولو لنا مشان الله مشان محمد مشان امك مشان مشان اختك مشان ما تقتلنا قال لى انه ما كانوا يستمعوا لهالحكى هاى نهائياً.

وصحوهم بعدين طلعوا «قلت ليه طيب قديش تقدر عد القتلى يا اللى داخل السجن من السجناء قال لى عدد القتلى يطلعوا ٥٠٠ او ٦٠٠ قتيل من السجناء هذول يا اللى فى السجون وفى اليوم الثانى وزعوا لكل النـاس ها اللى اشتركوا لكل الزملاء يا اللى اشتركوا بالمهمة كل واحد

٢٠٠ ليرة سورى».[١]

هذا وربما كان حظ هؤلاء الذين قضوا نحبهم على أيدى هؤلاء الزبانية، افضل بكثير من آلاف السجناء الذين ما يزال يتوالى تعذيبهم في الأقبية. حيث حرموا من الدواء والغذاء والراحة، وحرموا من كافة حقوق الانسان، حتى حق الدفاع عن الشرف حيث حملت الاخبار الخارجة عن هذه المعتقلات ان كثيرات من النساء المجاهدات قد حبلن من جراء إعتداءات مارسها ضدهن الزبانية البعثيون.

في العراق :

وأما في بغداد «وهي عاصمة المشانق وحمامات الدم» كما وصفها الكاتب الفرنسي «تييرى دى جاردان»[٢]، فللبعث تاريخ عريق في الارهاب والتعذيب والاغتيال... فمنذ وصل البعث الى السلطة في ١٩٦٣، قضى على الاحزاب الاخرى، ونكل بالسياسيين الناصريين والشيوعيين والاسلاميين والأكراد والمستقلين وبعض البعثيين المنشقين... وقد قام البعثيون باستغلال الحرس القومي لنشر موجة ارهاب فظيعة عمت القطر العراقي بأسره، وفي كثير من الاحيان لم يكن غرض الارهاب سياسياً، اذ ان كثيراً من البعثيين الذين انضموا الى الحرس كانوا من الاوباش والسفهاء والمجرمين وقطاع الطرق الذين اتجهوا لاشباع نزواتهم الخاصة.

ولما زاد طغيان هذه العناصر، واشتد ارهابها للشعب، لاحظ الحاكم العسكرى العام، ان ذلك ربما يقود الى الثورة العامة ضد النظام فكتب الى وزير الدفاع يقول:

«لقد كثرت الشكايات من جراء التصرفات اللاقانونية من قبل مكتب التحقيق الخاص، الذى اخذ على عاتق الانفراد بالتحقيق والاعتقال، لذا نرتأى الغاء مكتب التحقيق الخاص، وتشكيل هيئة تحقيق امن الجمهورية. ويكون ارتباطها بالاستخبارات العسكرية ومقر هذه الحاكمية»[٣].. ولم يمتثل البعثيون لهذا الأمر وقالوا انهم لا يتلقون أوامرهم من سلطات الدولة وانما من اجهزة الحزب.

---

(١) صحيفة «الرأى العام» الاردنية ٢٦/٢/١٩٨١م.

(٢) في كتابه «مائه مليون عربي» نقلا عن الحوادث بتاريخ ٢٦/٤/١٩٧٦م

(٣) عن كتاب «المنحرفون» كتاب وثائقى عن ممارسات الحرس القومى ومنتسى حزب البعث قبل

وتتابعت جرائر البعثيين متخذة انماطاً شتى من الاعتقال والتحقيق والتعذيب مع الابرياء. وهذه نماذج من عرائض شكوى من المواطنين يعرضون فيها ما لقوه على أيدى الزبانية البعثيين:-

«هذه عريضة مرفوعة الى القيادة العامة لقوات الحرس القومي وهي تحمل رقم ١٥٦٨٤ في ١٠/١١/١٩٦٣ من المستدعي عباس محمد جبر من اهالي قضاء المحمودية يقول فيها: بتاريخ ٢٩/١٠/٦٣ جاءني فرحان المجول وجابر التكريتي وهما من افراد الحرس القومي في المحمودية واخبروني بورود برقية من مكتب التحقيق الخاص تطلب اعتقالي ثم اخذوني الى مقر الحرس القومي وهناك اعتدوا علي بالضرب والتعذيب والاهانة وكانت الدماء تسيل من وجهي ولطخت ملابسي بالدماء.. ثم اطلق سراحي بعدها.. ألوذ بكم لحمايتي من اعتداءاتهم في المستقبل». (١)

وهذه شكوى اخرى من مواطن أختطف البعثيون ابنه الطفل وعذبوه ثم افتدوه منه بالمال:

«من السيد هادي محمد سلمان يسكن شارع الكفاح - باب الشيخ.. الى السيد الحاكم العسكري العام برقم ٧٥٣٠ في ١٢/١٢/١٩٦٣ يقول فيها: قد اعتقل ولدي المدعو رشيد هادي من قبل الحرس القومي في منطقة الفضل بأمر من الحارس القومي المسؤول احمد العزاوي الملقب بابن ابو الجبن في الشهر السادس.. وان ولدي بريء وليس عليه أي تهمة وانه تلميذ في الصف الثالث متوسط. وقد اخذوه الى مكتب التحقيق في محكمة الشعب سابقا وهناك عذبوه أشد العذاب بتهمة التهجم على حزب البعث وعلى الحرس القومي وبعد مضي عشرين يوما على اعتقال ولدي وانا اجهل مصيره.. جاء الى الدار احد الاشخاص وطلب مني الحضور الى مقر الحرس القومي في منطقة الفضل.. وهناك قابلت الحارس القومي احمد العزاوي ابن ابو الجبن وقال لي ان ولدك رشيد متآمر وخائن وله اتصالات بالسفارات الاجنبية.. وسوف يقدم الى محكمة قيادة الحرس القومي.. وتعال معي لتشاهده. وذهبت معه فوجدت ولدي موقوف في المرحاض هو بحالة مرض شديد واعصاب محطمة واخذت ابكي واتوسل بالحارس القومي احمد

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤

العزاوى ان يطلق سراح ولدى بكفالة فوافق على شرط ان ادفع تبرع للحزب بصورة سرية.. وعندها اطلق سراح ولدى بمبلغ خمسين دينار قد استقرضتها من الجيران والله العظيم وسلمتها الى احد افراد الحرس القومي الذى اصطحبنا الى الدار وسلمها هو الى مسؤول المنطقة الحارس القومي الملازم احمد العزاوى ابن ابى الجبن المختفى حاليا عن منطقة الفضل.. ارجو امركم التحقيق معه وإعادة المبلغ لى والله يوفقكم». (١)

وقد تعدى ارهاب البعثيين كل حد ليصل الى شرف الرجال وهذا تقرير من مواطن يشكو البعثيين بعد دوال دولتهم الى يد عارف ويقول:

«عندما نزلت من سيارة مصلحة نقل الركاب فى منطقة باب الشيخ نادى على كل من المدعو خزعل وهاشم وهما من منتسبى الحرس القومى فى الكولات.. ثم اقتادونى الى مقر الحرس هناك. وكان فى المقر مايقارب من عشرة اشخاص كلهم من الحرس القومى.. وقد جلس المدعو شهاب احمد خلف المنضدة وهو آمر الحرس.. واخذ يحقق معى ويقول لى: انت منحرف جنسيا وانا اعرفم من قبل.. ثم خرج كافة الحرس وبقيت فى الغرفة مع شهاب احمد.. ونهض من خلف المنضدة ولوى يدى اليمنى الى الخلف ودفعنى على الحائط. وقد هددنى بالاعدام اذا لم افسح له المجال لكى يقضى رغبته الجنسية معى.. واخذت ابكى.. واستمر الصراع بيننا حتى اصابنى الاعياء الشديد وانهارت مقاومتى وقد تمزقت ثيابى واعتدى على شرفى.. وفى اليوم الثانى بعد توقيفى اخذنى الى مكتب التحقيق الخاص فى محكمة الشعب وهناك انفرد شهاب احمد بالسيد ناظم كزار عضو هيئة التحقيق.. وبعدها اطلقوا سراحى وطلبوا منى ألا أفشى الخبر الى اهلى الا اننى ادليت بهذا الخبر الى الحرس القومى التابع الى قطاع الرصافة وهم السيد عزت الدورى ومحمد فاضل ومحسن جهاد وسامى حمادى.. هذه افادتى اعترف بصحتها». (٢)

التوقيع : خ.م.ف

ولم تنج النساء من سطوة البعثيين وتبجحهم واستباحتهم

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤ ـ ٣٥

(٢) المصدر السابق ٧٥ ـ ٧٦

للحرمات، فقد أنشبوا أظفارهم يمزقون ويعبثون بأمن النساء وعفافهم وشرفهن. وهـذا جزء من إفادة طالبة كانت فى كلية الزراعة، قالت بعد تحليفها امـام المحقق العـدلى: «... واصعـدونى الى غرفة فى الطابق العلوى، وحضر ضابط من الحرس القومى اسمه علاء واخذ يضربنى على وجهى ثلاث ضربـات وقـال لى اعتـرفى.. انت مو كنت شيوعية.. فاقسمت له بالله وبشرفى لم أكن شيوعية ولم أعرف معنى الشيوعية ولا أى حزب.. وطلبت منهم ان يجروا تحقيق معى ويسألون عنى الجيران واهل المحلة والامن والشرطة اذا كان عندى ميول شيوعية.. فصرخ فى وجهى وقـال اذا ماتعترفين فراح ناخذ شرفك.. فأجبته بأن شرفى هو امانة فى ايديكم وانا اطلب حمايتكم.. وانا اختكم. فتقدم حارس قومى آخـر وبيـده عصـا واخذ يضربنى ويطعن بها بطنى، وقد اصابتنى غشاوة على عينى من الخوف والالم ولم استطع ان أتبين وجه الذى كان يضربنى بالعصا ويطعننى فى بيت الرحم واخذت اتوسل بهم.. واطلب الرحمـة منهم.. الا انهم طرحـونى ارضا ونزعوا عنى ملابسى الى حد النصف وانا اقاومهم وأتوسل بهم، وان احدهم مسكنى من ساقى وهو الذى ضربنى كما اخذ يقبلنى من فمى كأنه سكران.. ثم شاهدت احدهم وعلمته ان اسمه مدحت وهو ذو شارب اصفر شاهدت وجهه وهو يمسك بى، كمـا وضع الوسادة على وجهى.. وان ثلاثة منهم او اربعة قاموا بالفعل الشنيع ضدى الواحد بعد الاخر، وقد أغمى على بعد ان اصبح عندى نزيف دموى.. وانا لا استطيع بالضبط ان أشخص الذى أزال عفافى منهم اولا.. ولكن استطيع ان أؤكد انهم علموا معى الفعل الشنيع بالقوة واحدا بعد الاخر».[1]

توقيع المحقق العدلى

حليم عباس ١١/٤/١٩٦٣

لم تكن النماذج السابقة الا صورة مصغرة جدا، للواقع الكئيب الذى عاشه العراق فى أشهر تسلط البعثيين فى ١٩٦٣، ثم لما عادوا فى ١٩٦٨ تواصل القهر والعنف والانتقام، حتى اصبحت منظمة العفو الدولية تضع العراق فى رأس الدول المتهمة بانتهاك حقوق الانسان..

واكثر الاضطهاد المنظم فى العراق اليوم يقع على طوائف ثلاث هى

(١) المصدر السابق ص ١٠٤

الطوائف المعـارضة لنظام الحكم. فلم تنقطع المجازر ابدا في صفوف الملايين الاكراد الثلاثة ولا في صفوف الاسلاميين من سنة وشيعة، ولا في صفوف الشيوعيين الذين ينافسون البعثيين في التغلغل في صفوف الجيش فيكون جزاؤهم الاعدام سريعا عقب اكتشافهم، كما حدث في عام ١٩٧٨ عندما علق البعثيون ٢١ شيوعيا على المشانق دفعة واحدة. ولاتزال الغارات تشن عليهم هناك حتى اليوم.

وفي سجـون النـظام العـراقي عشرات الآلاف من السجناء من مختلف الطوائف لم يقدموا لمحاكمات... ومازالت تمارس ضدهم أبشع صنـوف التعـذيب المستحـدث، والمستجلب من الدول الشمولية من تقطيع للاجساد الحية بالمناشير وتسميم للسجناء بالمواد الكيميائية كالثـاليـوم ووضـع السجناء في زنزانات ترتفع حرارتها الى ٥٠ درجة مئـويـة، وطمـر السجنـاء بالاسمنت حتى منتصف قاماتهم، وضرب السجناء بالقضبان التى غرز فيها عدد كبير من الابر، ووضع قبعات معدنية ضاغطة على رؤوس السجناء حتى تحدث كسورا في الجمجمة تؤدى الى الوفاة، ونتف شعر الرأس والجسم بواسطة أدوات مصممة لهذه الغاية ووضع السجناء في ظلام دامس لا يميزون فيه بين الليل والنهـار ومنعهم من النـوم ليـالي عديدة والقاء السجناء الى الكلاب المفترسة لتقوم بتمزيق اجسادهم وإذابة بعض السجناء بالاحماض الكيميائية والى غير ذلك من ضروب الترويع والتعذيب.

واذا كان الحـزب يفتـرس خصـومـه، كمـا يفترس الابرياء من المواطنين العاديين بهذه القسوة الوحشية، فهلتنجو عضوية الحزب وقيادتـه من ذلك الضرب من البطش؟!

ان مؤامرات الحزب الداخلية ومصير المتآمرين يعرضها لنا هذا المشهد الذى شهدته بغداد عقب مؤامرة محمد عايش في ١٩٧٩.. وبعد التحقيق الرهيب الذى اجرى مع المتآمرين، عرض على قيادات الحزب احد هؤلاء المتآمرين وهو محى الدين المشهدى.. ولندع مجلة الحوادث التى تابعت تلك المؤامرة تقدم لنا هذا المشهد:

دخل صدام حسين وخلفه عزت الدورى وطه الجزراوى وباقى اعضاء مجلس قيادة الثورة. وبعدما جلس صدام حسين على المنصة وافتتح الجلسة بترديد الشعار الحزبى «امة عربية واحدة ذات رسالة

خالدة». قال: «أنتم لا تعرفون لماذا دعوناكم الى هنا. لقد دعيتكم للاستماع الى اقوال الخارج على الحزب المجرم محيي عبد الحسين المشهدي وهو سيحدثكم عن المؤامرة الدنيئة وعن شركائه فيها».

فقام المذكور من مكانه وتوجه الى المنصة حيث تنحى له صدام عن مقعده واجلسه مكانه وجلس هو على منصة اخرى قريبة. وبدأ المشهدي يتكلم بصوت خافت مستهلا حديثه عن تاريخ التنظيم فقال: اتصل بي محمد عايش «عضو القيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة ووزير الصناعة والمعادن سابقا» في عام ١٩٧٥ عندما كنا نعمل سويا في الاتحاد العام للعمال وطلب مني ان نشكل تنظيما لتصحيح مسار الحكم وقد كنت مستعدا ذهنيا لقبول هذا العرض. وعندما وافقت أبلغني ان سوريا ترعى هذا التنظيم وعلى اجراء لقاء مرة كل اسبوعين. وفي بداية ١٩٧٦ عينت سكرتيرا لمجلس قيادة الثورة وبعدها اتصل بي محمد عايش وطلب مني الاجتماع به فاتفقنا على ان نلتقي قرب مطعم حمورابي الواقع على قناة الجيش. وعند وصولي الى مكان الاجتماع في الوقت المحدد شاهدت محمد عايش يسير مشيا على قدميه ومعه شخص لا اعرفه فتعارفنا، فاذا به الملحق العسكري السوري. وفي الحديث شجعنا الملحق العسكري السوري على توسيع التنظيم وأمدنا بأول دفعة من المال مقدارها ٥٠ ألف دينار، وافترقنا على ان نلتقي بعد اسبوعين.

كان لقاؤنا الثاني في بيت محمد عايش وهناك اخبرني محمد عايش ان قيادة هذا التنظيم تتكون من عدنان حسين الحمداني وغانم عبد الجليل ومحمد محجوب فيكون مجموعنا خمسة، فكان خبر تشكيل القيادة دافعا جديدا للاستمرار في العمل.

وتم الاجتماع الثاني في منزل احد القياديين الخمسة هو غانم عبد الجليل. ويقع المنزل في الحارثية «وهي حي من احياء مدينة بغداد» وهذا الاجتماع حضره معنا لأول مرة اللواء وليد سيرت قائد فيلق قوات بغداد «وهو حزبي وكان ملحقا عسكريا في بيروت ثم عين مديرا عسكريا في بيروت ثم عين مديرا للاستخبارات العسكرية» فتداولنا في الموضوع وفي طريقة التوزيع والتنظيم السرية. وتوالت هذه الاجتماعات، وكان الاجتماع المهم هو المفاجأة التي احضرها لنا

اللواء وليد سيرت عندما كنا نتحدث في توسيع التنظيم عسكريا وضرورة اشراك باقي الضباط، واذا بوليد يقول لنا: اسمحوا لي دقيقتين فدخل الى الغرفة الثانية وعاد ومعه سبعة ضباط..

وهنا قام المتهم باخراج ورقة من جيبه ووضعها امامه وبدأ يقرأ منها فقاطعه صدام حسين قائلا: محيي ليش تقرأ.. احكي بلا ورقة.. اشلون البارحة حكيت لنا في مجلس قيادة الثورة بلا ورقة؟

ولم يذكر محيي اسماء الضباط السبعة ويبدو انه تجاوزها. ثم تابع قائلا: ولكن بعض الامور تغيرت اذ ان الملحق العسكري السوري الذي اجتمعنا به عدة مرات نقل وجاء محله ملحق جديد فاجتمعنا به وكان حركا وعميقا، فبدأ يسأل عن الحزب وتنظيماته وعلاقاته بالشعب وتنظيماته داخل الجيش وانسجامه وثقة الناس به وعلاقتهم بقيادته. وفي الاجتماع الآخر معنا بدأ يسأل عن اسماء العسكريين معلنا استعداد سوريا والرئيس حافظ الاسد شخصيا لأية مساعدة مالية حتى لو تريدون مليون دينار. وكان الهدف من كل هذا انضمام العراق الى سوريا. وقبل ثلاثة اشهر من الان شعرنا ان الرئيس احمد حسن البكر يرغب في الاعتزال فتشاورنا في الامر واتصلنا بالواسطة مع حافظ الاسد فكانت كل التعليمات تقول بالتروي..

الا ان الاحداث بدأت تتسابق ففوجئنا باستقالة الرئيس البكر متحدثا عن صحته وعن عدم امكانه تسيير امور الدولة حسبما يشتهي ويرضي ضميره. وهنا تعالت الاصوات بعدم الموافقة على الاستقالة ولكنه أصر ورشح السيد النائب صدام حسين للرئاسة.

صمت محيي الدين قليلا وعاد الى الحديث عن التنظيم فقال: احنا نظمنا داخل الحزب في بغداد وخارج بغداد ومعنا موظفين وعمال وفلاحين وشرطة والكل مؤيد للحركة.

سأله صدام حسين: شنو هدفكم؟

قال: هدفنا الوحدة مع سوريا وحافظ الاسد رئيسها وعبد الخالق السامرائي رئيس جمهورية العراق للتخلص من الحكم الفردي. وهنا نهض احد الحزبيين من الكوادر المتقدمة مخاطبا صدام حسين بقوله: ابو عدي كل ما عبد الخالق السامرائي يشم الهواء العراق ما يرتاح..

ونهض بعدها رئيس الجمعيات الفلاحية هاتفا: يحيى فارس العرب الرئيس صدام حسين.

ثم بدأ المتهم متثاقلا يذكر اسماء المشتركين فى التنظيم، وهنا قاطعه صدام حسين قائلا: كل واحد يجى اسمه يوقف ويردد الشعار ويطلع بره... وبدأ الذين وردت اسماؤهم على لسان المشهدى يخرجون واحدا واحدا. ولما اعلن المتهم اسم الدكتور سلطان الشاوى اراد هذا الاعتراض فلم يسمح له وأخرج من القاعة.

وبعد الانتهاء من تلاوة الاسماء اعطى المتهم مكانه على المنصة الى الرئيس صدام حسين وجلس فى مكان آخر، فألقى صدام كلمة اشاد فيها بالكادر الحزبى ويقظته ثم قال: انا قبل خمسة اشهر احسست ان هناك شيئا وخاصة عند محمد عايش. شفت عنده نقطة سوداء فاستدعيت الرفيق عزت الدورى وتكلمت معه فى الامر وقلت له ان محمد عايش على غير طبيعته فهل هناك شىء يزعجه؟ فاتصل الرفيق عزت بمحمد عايش مستفسرا فقال انه مزعوج من فلان الفلانى عضو مجلس قيادة الثورة لانه فى احد الاجتماعات مسه بالكلام، فى بادىء الامر صدقت ولكن النقطة السوداء كبرت فاستدعيت الرفيق طارق عزيز وأخبرته فذهب الى محمد عايش وعاد نافيا وجود أى شىء. فلم اصدق. وحدث يوم طلب الاب القائد الاستقالة ورشحنى محله فكان أن وقف محمد عايش يعترض على الترشيح طالبا اجراء الانتخابات. ولما أصر الرئيس البكر على ترشيحى ووافقوا وقفت وقلت لهم: يا اخوان ياللى عنده شىء فى قلبه خليه يبينه. انا كنت نائب والان مرشح رئيس ولا اريد ان يبقى شىء فى قلوبكم ولو كنت اعرف ان بينكم ناس قلوبهم سوداء. وبعدما قلت هذه الكلمة كتب المتهم ورقة وناولها الى محمد عايش ولم نكن نعرف مابها. ولكن بعد ان اخذناها وجدنا انه يقول له فيها «انا سأقدم استقالتى الان» جاوبه محمد عايش على نفس الورقة قائلا «تروى». فأعاد اليه محيى الورقة كاتبا عليها «المقصود إحنا» فانتبه الى هذه الورقة المتداولة الرفيق حسن العامرى «عضو القيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة ووزير التجارة» واثناء ما كنت اتكلم قال لى العامرى ان هناك ورقة متداولة بين الجماعة ارجو ان تطلب قراءتها فأخذنا الورقة وقرأناها كما ورد فيها آنفا. فانهار المتهم محيى وبدأت تظهر النقطة

السوداء التي حدثتكم عنها. وساقتنا الى نتيجة التحقيق. وبعدما اعترف بكل شيء من غير اكراه عرضنا الامر عليكم. وكما اعترف محيي من غير اكراه نريد ان نحكي واياهم لماذا فعلوا ذلك ولماذا يريدون التفريط بالبلد. اننا لن نتساهل مع المتآمرين ولا مع الذين حرضوهم وتآمروا معهم. ولكن هذا الموضوع راح نكشفه للأمة العربية في الوقت الذى نعتقد ان فيه مصلحة.

ويبدو واضحا في العرض التلفزيوني ان صدام حسين كان يبكي بين الحين والآخر وامامه علبه كلينكس يمسح بها عيونه. وكانت تتردد في القاعة أصوات بكاء اخرى وقد وجهت الكاميرا بشكل خاص الى طه الجزراوى الذى كان بكاؤه واضحا وبصوت عال».[1]

وبالطبع فليس يستغرب ان تحدث التآمرات في إطار نظام هو متآمر بطبعه، وليس بمستغرب ان يستقي القوم من نفس الكأس التي أدمنوا سقيها للآخرين.. وقد تكون هذه مؤامرة.. وقد تكون قصة ملفوقة على زملاء القيادة، ولكنها تظل بعض نتاج النظام، وبعض نتاج كفره بالديمقراطية، بحيث لم يسمح قادته لزملائهم حتى بتمرير ورقة في اثناء الاجتماعات!!

حرية الوطن:

وفي ظل ضياع حرية المواطن لا يمكن للمرء ان يتوقع اى كرامة أو حرمة للوطن.. فلا يرجى من مواطن ان يدافع عن وطن يحكمه نظام، قد بلي المرّ من ثمره. كما لا يرجى من أمثال هذه الأنظمة ان تحمي أوطانها وهي التي ترى ان الحاكم أولى من الوطن.

وقدضيع البعثيون السوريون الجولان وهي المرتفعات الحصينة التي لا يمكن ان تؤتى الا عن طريق تدبير خيانة ومؤامرة للتسليم. ومنذ زمان طويل كان احد كبار دهاقنة الصهيونية، قد تسلل الى حزب البعث السورى، وترقى في أجهزته، وهو الجاسوس المعروف بإيللي كوهين، والذى كان يتسمى باسم كامل امين ثابت، والذى ادعى انه

(١) مجلة الحوادث بتاريخ ١٠/٨/١٩٧٩م بقلم سليم اللوزى وسليمان الفرزلي.

مهاجر سورى، هاجر الى الأرجنتين، ثم اتى الى وطنه ليؤدى ضريبة العمل العام. وفى وقت ما كان مرشحا من قبل حزب البعث لرئاسة الوزارة، لولا ان المخابرات الاسرائيلية رفضت ذلك، لأن الذى يصل الى رئاسة السلطة فى النظام البعثى، يخرج منها عما قريب بمؤامرة قد تطوح به الى السجن أو الى القبر. فاستمر يؤدى الأعمال الحزبية، ويوطد علاقاته مع النافذين من أمثال امين الحافظ رئيس الوزراء، وسليم حاطوم، والضللى وغيرهم. «وكان ينظم لهم لقاءات جنسية على اختلاف الأهواء والميول، فى شقته القريبة من مقر الأركان».[1]

كما كان يزور الجبهة ويطلع على التقارير السرية ويبعث بها الى مقر قيادته فى اسرائيل، مما مكنها ـ إضافة الى خيانات اخرى ـ من احتلال الجولان.

وأما فى العراق فقد تنازل البعثيون عن جزء كبير، ذا أهمية استراتيجية خارقة للعادة، من أرض الوطن، ثم أعلنوا حربا غادرة على ايران فى أشد ساعات ثورتها حرجا، بغية ان يضيفوا الى ارضهم مزيدا من الأرض الايرانية، واغتروا كثيرا بالانتصارات الأولية التى أحرزوها، ثم تغيرت اتجاهات الحرب بعد عامين من القتال، وأصبح البعثيون مدافعين بعد ان كانوا مهاجمين. ثم احتلت أجزاء كبيرة من أرض العراق بسبب حماقات البعث. ولا تزال مزيد من الأراضى العراقية مهددة بالاحتلال، بسبب هذه السياسات الرعناء.

ولحماية أرض الوطن ـ أو ما تبقى منها ـ استعان بعثيو سوريا بالقوات السوفيتيه التى أصبحت مرابطة بشكل احتلال دائم فى الأراضى السورية، كما استعان بعثيو العراق بجيوش أخرى، ومرتزقة من سائر البلاد، لمواصلة الحرب، التى لم يعرفوا حتى الآن سبيلا لايقافها واسترجاع ما أضاعوا بسببها من أرض الوطن!

---

(١) محمد جلال كشك، ايلى كوهين من جديد، ص ٨٩

الفصل السابع

«ان الله والاديان والاقطاع
والـرأسـمال المتخمـين، وكل
القيم التى سادت المجتمـع،
ليـسـت الا دمـى محنـطة فى
متحف التاريخ» . .

ابراهيم خلاص
من قيادات حزب البعث

نظرة البعث للدين

لا يمكن ان تكون نظرة البعث للدين (ونحن نقصد الاسلام وحده هنا) نظرة ايجابية طالما كان قادته المفكرون وكتابه هم من أبناء الكنيسة من أمثال ميشيل عفلق، وشبلى العيسمى، والياس فرح، ومعهم الثلة المستغفلة من أبناء المسلمين.

وشيخ المفكرين البعثيين «ميشيل عفلق» يعتقد ان العروبة هى الاصل.. (وهذه فكرة قديمة وعنوان كتاب لرائد الفكر القومى العروبى العلمانى ساطع الحصرى).. ويعتقد ميشيل عفلق ان العروبة مقدمة على الاسلام، وان الاسلام قد انبثق عنها تماما مثلما انبثق عنها تشريع حمورابى والشعر الجاهلى الوثنى والثقافة المعتزلية «وبالطبع فهذا خطأ أيضا اذ ان الثقافة المعتزلية ذات جذور فكرية يونانية» يقول ميشيل عفلق فى كتابه «فى سبيل البعث» :
(فهذه الأمة التى أفصحت عن نفسها وعن شعورها بالحياة افصاحا متعددا متنوعا فى تشريع حمورابى وشعر الجاهلية ودين محمد وثقافة عصر المأمون. فيها شعور يهزها فى مختلف الأزمان ولها هدف واحد بالرغم من فترات الانقطاع والانحراف).[1]

وبالطبع ففى ذلك ما فيه من سوء الأدب والاساءة للدين بتتبيعه لمصدر ارضى بشرى، وفيه كذلك ما فيه من سوء فى المنطق، والنظرة غير الأمينة للتاريخ. اذ ان العروبة هى التى انتعشت وامتدت بفضل الاسلام وعمت الشمال الافريقى حتى الاندلس كما عمت اللغة العربية، والحروف العربية، رقاعا متسعة من البقعة الأرضية المعروفة بفضل إنتشار الاسلام والقرآن لا العكس، ويوم طرد الاسلام من أى بلد «كالأندلس أو صقلية أو قبرص» طردت معه اللغة العربية ولم تمكث بعده الا قليلا..

وفى كتابه «ذكرى الرسول العربى» يطور عفلق هذه النظرية الخبيثة، فيقول: (ان المعنى الذى يفصح عنه الاسلام فى هذه الحقبة الخطيرة

---

(١) ميشيل عفلق، فى سبيل البعث، ص ٩٨ ـ ٩٩

وفي هذه المرحلة الحاسمة من التطور، هو ان توجه كل الجهود في نطاق القومية العربية)[1] وهكذا فكأنما جاء الاسلام بكل جلاله وكماله وقوته وروعته وأصالتـه وخلوده، لكي يخدم مبدأ ضعيفا ضيقا متهافتا وانقضى عصره مثل مبدأ القومية العربية !!

وأمـا زكي الارسـوزي أحد المؤسسين الأوائل للحزب، فهو أشد وقاحة وأبعد سفورا في استفزاز الدين اذ يعتبر مرحلة الجاهلية عند العـرب هي العصر الذهبي للعـروبـة كما أفاد بذلك المنظر البعثي الياس فرح في كتابه «العروبة والاسلام في منظور البعث».

وأخبث منه شبلي العيسمي الذي يعتقد ان الاسلام كان يراعي المشاعر العربية الجاهلية بهدف استدراجها لقبوله كدين جديد.. و (لا ريب ان ثمة بعض المواقف والطقوس والتقاليد العربية التي اقرها أو طورها الاسلام، تعتبر من المظاهر الدالة على مراعاة المشاعر القومية العربية وتطمينهم بأن الاسلام منهم ولهم. الأمر الذي دفعهم إلى الدخول فيه والاقبال عليه)[2]

واذا صرفنا النظر عن فكرة ان الاسلام «منهم ولهم»، بمعنى انه انبثق عن العرب، ولم يأت من السماء، وهي نفس فكرة ميشيل عفلق السابقة، فإن من الوهم اعتقاد ان الاسلام كان يجامل العرب ويتبنى بعض طقوسهم! فإن كان الأمـر كذلك فلمـاذا حطم الاسلام أصنام العرب، ولماذا حارب عاداتهم الجاهلية من ربا وزنا وخمر؟ ولماذا قلب حياتهم العقائدية والاجتماعية رأسا على عقب؟!

واذا كان البعض يعتقـد ان الاسلام قد نزل تشريفا للعرب، كما يعتقد بعض القوميين المؤمنين بالدين «كالدكتور محمد عمارة مثلا، وهـو ليس ببعثي» فإن ذلك وهم أيضا.. اذ ان أكثر الأمم استقبالا للرسالات كان الأمة اليهودية فهل كان ذلك تشريفا لها، وهي الأمة التي اعتادت تكذيب الأنبياء وقتلهم: (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) ؟!

ولعل أكثر البعثيين مجاملة للدين هو الدكتور منيف الرزاز حيث يفيدنا بموقع الدين من القومية العربية ـ بمعنى ان الدين جزء من

---

(١) ميشيل عفلق، ذكرى الرسول العـربي، المـؤسسـة العـربية للدراسات والنشر، بيروت، ص ١٧

(٢) كتاب، عروبة الاسلام وعالميته، ص ٦٢

القومية العربية، مجرد جزء فقط لا غير ـ فيقول: (أما الركن الرابع من أركان القومية العربية فهو الدين الاسلامى.. الا ان الذى لا شك فيه ان الاسلام قد صبغ حياتنا العقلية التى رافقتنا أكثر من ثلاثة عشر قرنا، وصبغ تفكيرنا وتقاليدنا وعاداتنا واساطيرنا ومعتقداتنا وحياتنا اليومية المعيشية وان المسيحيين العرب الذين عاشوا فى هذه البلاد قد تأثروا بهذه إلى حد كبير على رغم اختلاف الدين)[1]

ولكن هذه النظرة لا تعبر عن نظرة المفكرين الأساسيين للبعث، ولا لوزرائه فى السلطة حيث وجه لأحدهم السؤال التالى:

(ما هو موقف حزب البعث من المنطق ذى الروح الاسلامية الذى تعرضه بعض الدول العربية المحافظة فى نظرها للمشكلات العربية اليومية؟ اماما زال الحزب محافظا على نظرته العلمانية تجاهها؟

فاجاب: (نحن نختلف مع الذين يظنون ان فى الاسلام الخلاص من المآزق التى تقع فيها الأمة العربية، أما أولئك الذين يعملون على تنشيط الحركات الاسلامية، والشريعة القرآنية **فلنهم** يحملون نظرة لا تتوافق معنا. ونحن لا نعتقد بهذه الأشياء ونحن بالتأكيد حزب علمانى).. ثم أضاف: (وفى هذه المرحلة التاريخية التى نعيشها، فنحن نعتقد انه يجب علينا ايجاد طرق علمية وعملية للتطبيق كثر من الأديان))[2]

وفى مجلة (جيش الشعب) وفى عددها الصادر بتاريخ ٢٥/٤/١٩٦٧ أى قبل أقل من شهرين من نكسة يونيو كتب المدعو ابراهيم خلاص من قيادات حزب البعث يقول:

الصادر بتاريخ ٢٥/٤/١٩٦٧م كتب المدعو ابراهيم خلاص من قيادات حزب البعث: (ان الله والأديان والاقطاع والرأسمال المتخمين وكل القيم التى سادت المجتمع، ليست الا دمى محنطة فى متحف التاريخ) ويؤكد هذا المعنى نفسه المفكر البعثى د. نديم البيطار فى كتابه «من النكسة الى الثورة» حيث ينعى على العالم العربى سيادة الاطار الدينى فيه: (ان الاطار الدينى فى البلدان الاسلامية هو أيضا الاطار الاجتماعى، وان هذا الاطار لا يزال جزءا من القرون الوسطى، لا يتلاءم مع نمط التنمية الاقتصادية والعمل فى مجتمع حديث) ويدعو الحركات اليسارية لمقاومة الاسلام فيقول: (ان الحركة لا يمكن ان تسود الا ما تخاصمه. وهذا النقد لم يتوفر أبدا فيما يتعلق بالاسلام)..[3]

(١) د. منيف الرزاز، معالم الحياة العربية ص ٢٦٩
(٢) نقلا عن مجلة «الجامعة الاسلامية» التى تصدرها الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة: العدد الأول فى العام الحادى عشر
(٣) نقلا عن جلال كشك فى كتابه « النكسة والغزو الفكرى» ص ١٥٥

ويتهم البيطار كافة الحركات الاسلامية التى قاومت الاستعمار بالرجعية: (إن جميع الحركات السياسية الدينية التى قامت باسم الدين كانت حركات رجعية، قصدها الأول تجميد اى تحول اجتماعى حضارى. فمن الوهابيين والمهديين والسنوسيين والادريسيين الى الاخوان المسلمين، الخ.. كلها كانت حركات رجعية، كلها هاجمت الاتراك فى الواقع ليس حبا بحرية أو استقلال بل لأن العثمانيين خرجوا فى رأيها عن الدين لأنهم آخذوا يقتسبون طرق الغرب).

.. وفى حديث البيطار هذا خطأ تاريخى اذ ان حركة الاخوان نشأت فى ١٩٢٨ بينما انتهت خلافة العثمانيين قبل ذلك بسنوات!! ولكن محتوى حديثه وغايته ان الحركات التحريرية لابد ان تكون ضد الدين حتى تكون حركات تحرير بحق!

والدكتور سامى الجندى يؤكد نفس تلك النزعة لخلع الناس عن جذورهم من أجل تطويرهم ونقلهم يقول فى كتابه «البعث»: (اتخذنا الناس على اننا معلمون، احبونا كما أحببناهم. اخذنا نهز من الجذور كل تقاليدهم وعاداتهم وعلاقاتهم بالماضى. جابهناهم دون حذر أو تردد أو خوف فاعتبرونا خارجين على المجتمع. ولقد كنا خوارج على الشرائع التى تعارفوا عليها فنسفناها لأنها ما عادت من الحياة، ثرنا على الموت كله).(١)

وفى المحاضرة التى قدمها ميشيل عفلق بعنوان «نفهم التراث بالفكر الثورى والمعاناة النضالية» فى مدينة البصرة لقيادات فرع الحزب وقيادة الشعبية العسكرية بتاريخ ١٩٧٦/٢/٤م ورد إليه السؤال التالى من أحد الرفاق: (لقد أكد الرفيق القائد المؤسس فى أكثر من مناسبة على الروح.. رغم ان فكرنا الثورى يعتمد العلمية ورفض الجانب الغيبى، فكيف نفصل بين الاداة والفكر فى البعث؟).. فرد عليه الرفيق بما أكد فهم السائل من انه لم يقصد جانبا غيبيا وانما كان يعنى فقط استلهام روح الرسالة والأخلاق والثورة الاخلاقية الخ.. (٢)

ويقول شبلى العيسمى فى تحليله لأسباب فشل محاولات الوحدة العربية ان تدخل الدين كعنصر فى تكوين القومية كان سببا من

---

(١) د. سامى الجندى، البعث، ص ٣٧

(٢) ميشيل عفلق، البعث والتراث، دار العروبة، لندن، ص ٦٣ ـ ٦٤

أسباب ذلك الفشل. وهو ما سماه ب: «اصرار العقيد القذافى على مزج الدين بالقومية» [1]

أمثلة تطبيقية:

أما فى الأمثلة التطبيقية وهذا غيض من فيضها الزاخر، فنرى التبجح بالكفر سافرا وانظر الى قول شاعرهم:

آمنت بالبعث ربا لا بديل له
وبالعروبة دينا ما له ثانى

ويقول محمد جميل شلش:

ورفعت ثالوث العقيدة، فازدهى
فجرا، وتاه على النجوم شعار

ويعلق على ذلك مصعب حسون الراوى فيقول: (إن كثيرا من المفردات والعبارات قد اخذت فى ظل الأدب البعثى معنى جديدا الى جانب معناها العجمى. اى ان هذه المفردات والعبارات تاخذ مدلولاتها من خلال الايحاء الذى تثيره الجملة الشعرية وتجربة الشاعر المرتبطة بعقيدة الحزب، ومواقفه النضالية. كما هو الحال مع لفظة «البعث» التى اخذت دلالة خاصة تعبر عن الحزب ودوره فى صنع الحياة الجديدة. وعبارة «ثالوث العرب» أو«الثالوث المقدس» للدلالة على أهداف الحزب: الوحدة، الحرية، والاشتراكية.. وعبارة «دين الحياة» كناية عن الاشتراكية). [2]

وفى صفاقة بالغة يضيف هذا الناقد البعثى حقائق الدين الى صف الاساطير التاريخية فيقول: (وهكذا فقد كانت اسطورة الأعور الدجال، وقابيل وهابيل، وملحمة جلجماش، وقصة يوسف مع امرأة العزيز، وما الى هنالك من أساطير وحكايات عربية أصيلة ووسائل تعبيرية، أو اطارا موضوعيا لكثير من شعراء البعث). [3]

ونلاحظ ان كل الأدبيات والكتابات المختلفة الصادرة عن كل من

(١) شبلى العيسمى، الوحدة العربية من خلال التجربة، ص ٩١

(٢) مصعب حسون الراوى، ملامح المنهج البعثى فى الأدب، ص ١٠٦ ـ ١٠٧

(٣) المصدر السابق، ص ١٠٨

القطرين البعثيين خالية تماما من اى معنى من المعانى الدينية، بل حتى ومن التصدير ببسم الله الرحمن الرحيم، وكل الكتب البعثية السودانية وعلى رأسها كل من كتابى «البعث والنضال الوطنى فى السودان» و«المنطلقات النظرية» خالية اطلاقا من اى معنى دينى أو اسم دينى.. ونتحدى من يخرج من اى من هذين الكتابين ما يمت الى الدين ولو بصلة رمز أو اسم.

أما فى عهد انتشار الصحوة الاسلامية فقد غدا البعثيون يغازلون الدين فى إبان مدة ويكتبون حتى على لافتاتهم وملصقاتهم الجدارية عبارة «بسم الله الرحمن الرحيم» وهذا ما لم يكن هديا لهم فى يوم من الأيام. لأنهم يكتبون بدلا عن ذلك فى كتاباتهم كلمة: «كل الحب للقائد صدام حسين» كما هو واضح فى الوثيقة **المنشورة بهذا الكتاب**.

ومن معاداتهم الصارخة للاسلام معاداتهم لقوانين الشريعة فى السودان، والتى يسمونها زورا بقوانين سبتمبر، ولكن من فلتات لسانهم احيانا تتضح الحقيقة، فيسمونها قوانين الشريعة صراحة، ومع ذلك يعلنون معارضتهم لها..

ففى مجلة «الدستور» البعثية الصادرة بتاريخ ١٧/ ١٩٨٦م اجرى المحرر حوارا مع العقيد يعقوب اسماعيل أحد قادة التمرد فى جنوب السودان، وجر الحديث الى قوانين الشريعة ليستصدر إدانة لها من العقيد اسماعيل، فماذا كان؟

«الدستور»: كثر الجدال داخل الأوساط السياسية حول موضوع الشريعة الاسلامية وعلاقة الدين بالسياسة، فهناك من يدعو إلى فصل الدين عن السياسة، وهناك من ينادى بتطبيق الشريعة الاسلامية، فيما يطالب فريق آخر بمراجعة قوانين الشريعة الاسلامية، فما هو رأيكم بخصوص هذه المسألة؟

العقيد يعقوب: هذا الحديث لا ينطبق على الاسلام باعتبار ان الاسلام دين ودولة وليس هناك إمكانية الفصل بين الدين والدولة. أما كيف يتم ذلك، فهذا أمر يختلف فيه الكثيرون. هناك من يريد استغلال الدين للوصول إلى السلطة ومن ثم تغيير المجتمع، وهناك الوصول

الذى يرمي إلى تغيير المجتمع تدريجيا بإدخال التعاليم وتربية النشء حتى تتم عملية التغيير والتحول تلقائيا دون الحاجة إلى البتر والقتل.

«الدستور»: هل أنتم مع إلغاء قوانين الشريعة أو مراجعتها؟

العقيد يعقوب: لابد من مراجعة هذه القوانين التى سنها نميرى لا حبا فى الاسلام بل لبتر الأيدى التى تمتد إلى نظامه. مراجعة هذه القوانين أمر ضرورى بحيث يتحول المجتمع إلى مجتمع متكامل وملتزم بتعاليم الدين وأخلاقياته.»

وهكذا كان العقيد اسماعيل أكثر ايجابية نحو الاسلام من البعثيين وأكثر معقولية فى الطرح..

وفى موجة فزعهم من انتشار المد الاسلامي، وخوفهم من اتساع صفوف الصلاة، وتنامى الوعى بخطر البعثيين عند أئمة المساجد، وزع البعثيون هذا التعميم السرى على كوادرهم ونصرائهم حول المساجد:

حزب البعث العربى الاشتراكى

القطر السودانى

أمة عربية واحدة

ذات رسالة خالدة

سرى

تعميم حول المساجد

يقرأ على الأعضاء والأنصار

أيها الرفاق

تحية العروبة والنضال

فى الآونة الأخيرة درج بعض أئمة المساجد على شن هجوم منظم على حزبنا حزب البعث العربى الاشتراكى مستغلين فى ذلك صلاة الجمعة، ولما فى ذلك من خروج واضح على قيم الاسلام وتقاليده السمحة واستغلال بشع للمواقع المقدسة لجماهير شعبنا لمصلحة

فئات ضلت طريقها واختارت مسالك وعرة لا تعرف نتائجها القريبة والبعيدة ووضعتها في السابق وما زالت بالغد من قيم الشعب وتقاليده النبيلة ومصالح الكادحين منه فان حزبنا يجب عليه ايقاف هذه الحملات. لذلك فاننا مطالبين بتنفيذ التعليمات التالية بدقة وروح حزبية عالية حتى يتم وقف هذه الحملة بالوسائل المشروعة.

١ / العمل على تحديد رفيقين في كل حي لحضور صلاة الجمعة بانتظام بحيث يتم تغطية مساجد المنظمات ضمن التنظيم والتنظيمات ضمن المدينة والمدن ضمن المديرية.

٢ / ان الهدف من حضور الرفاق لصلاة الجمعة هو جمع المعلومات التالية:

أ / اسم المسجد، وموقعه ضمن الحي، والجهة المشرفة على المسجد

ب / اسم الشخص الذي يؤم المصلين، أو الذي يقوم بشن الهجوم على الحزب واتجاهاته السياسية.

ج / تأثيرات الهجوم على المصلين وآرائهم حول هذا الهجوم سواء اكان ذلك داخل المسجد أو خارجه في الحي.

ودمتم ولرسالة أمتنا الخلود

مكتب التنظيم المركزي

وهكذا يتجسس البعثيون على أماكن العبادة بقصد محاربتها، وارهاب أئمتها، مثلما فعلوا بأئمة الدين، ومعاهده، وحركاته، وجمعياته في كل بلد نكب بهم..

الفصل الثامن

لم تفلح أفكار البعث المتخلفة عن العصر، والمصادمة لهوية الأمة وتراثها، أن تقدم حافزا لنهضة أو أن تدفع حركة تحديث!!

تقويم نهائى

لقد تعمدنا ان نطيل الجولة فى تاريخ وفكر البعث، حتى نستجلى الصورة بكثير ملامحها وتفاصيلها،كما آثرنا ان نحاكمهم لشعاراتهم ودعاويهم قبل ان نحاكمهم الى المنطق أو الى القيم الفاضلة التى لم يرفعوها من ضمن شعاراتهم.

وأول ما يلحظ من يستطلع فكر البعث، انه فكر يغيب عنه المنطق الفكرى، او النسق العقلى العام. ففكر البعث ليس كالماركسية مثلاً، تنداح تفاصيلها عن فكرة مركزية، هى فكرة المادية الجدلية.. وانما تنداح أفكار البعث ـ وهى خواطر أكثر منها أفكاراً محددة ـ عن عواطف ومشاعر وأحلام!

ولو بقى البعثيون على المشاعر القومية، باعتبارها مشاعر فقط، وظلوا يعملون فى إطار الحركة القومية، كما كانت حركات وطنية اخرى، تعمل بمبادىء واقعية تلفيقية، لربما كان أفضل لهم، ولكن قادهم ولوج عالم الأفكار الى كثير من التناقض والتمزق والتصادم مع المسلّمات ومع أعراف الأمة وتقاليدها وثقافتها ودينها، رغم انهم ادعوا الدفاع عن تلك المسلمات. وقد جاء تناقض البعث الأكبر مع الاسلام من هذه الزاوية. حيث برز البعث كعقيدة فى موازاة عقيدة، ولو اتخذوا قوميتهم مشاعر وأحلام وأماني، لا عقائد، لما اصطدموا بالاسلام. فالاسلام يكرم الوطن، وقد قرن الله تعالى بين حب الوطن وحب النفس: «ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من د ياركم»، وبين الوطن والدين: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين»، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن مكة انها أحب أرض الله اليه: «والله انك لأحب البلاد الىَّ»!

ولكن تحتمت الهجرة عليه، صلى الله عليه وسلم، فترك وطنه ـ رغم مشاعره تجاهه ـ لأجل العقيدة: «إن الذين آمنوا والذين هاجروا

وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم». **واصبح هجر الوطن شرطاً للموالاة**: «الذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا».. **وهكذا فحب الوطن مشروع، وهو طبع اى انسان، ولكنه لا ينهض بموازاة العقيدة ولا ضدها، والا أصبح شركاً فى الايمان.**

وخروج البعثيين عن الدين واضح لمن يتابع مجرى الحزب العام، فهم لا يسعون الا فى نهج علمانى رقيع يخجلون من إعلانه بحذافيره، ولا يفتأون يناورون فى شعاراتهم بان القومية العربية جسد روحه الاسلام، ولكنهم فى ممارساتهم يتبعون الجسد وينبذون الروح، ويحذّثون الرجرجة بأن الرسالة الخالدة، المقصودة فى شعارهم هى الاسلام، ورافع هذا الشعار ومصممه، هو الصليبى ميشيل عفلق، ومن البدهى انه لا يعتنق الاسلام فكيف يدعو له؟ تلك هى العلمانية التى يعتنقها حزب البعث ويدعمها كتابه النصارى من أمثال ميشيل عفلق والياس فرح وشبلى العيسمى وطارق عزيز وغيرهم، ولكنهم فى السودان يدّعون لحزبهم نسباً بالاسلام.. وهو ليس غير هذا النسب الصليبى المشبوه.

وجذور البعثيين البعيدة تؤكد تدخل الاصابع البريطانية والفرنسية فى توجيه التيار القومى العلمانى عموماً فى بلاد العروبة والاسلام. والحزب ينص فى المادة التاسعة من دستوره على ان «راية الدولة العربية، هى راية الثورة العربية التى انفجرت فى عام ١٩١٦م لتحرير الأمة العربية وتوحيدها»[(١)].

وقد كان قادة البعث يضعون تمثالاً لفيصل الأول ابن الشريف حسين على مكتب قيادة الحزب، باعتباره رائد الحزب وملهم الثورة.

فمن هو فيصل هذا ومن هو أبوه؟ وما هو الدور التحريرى التوحيدى الذى لعباه؟

قبيل الحرب العالمية الأولى اختارت بريطانيا الشريف حسين ليقود الثورة ضد الأتراك، وأرسلت لمعونته ضابط المخابرات

---

(١) نضال البعث ج ١ ص

البريطاني الأشهر لورنس ـ العرب لمعاونته، وهو الذى كان يقول: «لقد كنت أؤمن بالحركة العربية ايماناً عميقاً وكنت واثقاً قبل ان احضر الى الحجاز انها هي الفكرة التي ستمزق تركيا شذر مذر»!!

وقد كانت بريطانيا تريد ازاحة صخرة الخلافة الاسلامية التركية التي عجزت عنها، وانتهزت فرصة محالفة تركيا لألمانيا في الحرب العالمية الأولى، ومواصلة تركيا ترديد نداء السلطان عبدالحميد ومحاولته لتأليب أبناء العالم الاسلامي من الجنود الهنود والمغاربة والسنغاليين وغيرهم ممن كانوا قد انخرطوا في ضمن الجيوش الانجليزية والفرنسية، لذلك عمل البريطانيون على تدبير انشقاق في الصف الاسلامي يقوده الشريف حسين والهاشميون ضد السلطان عبدالحميد.

ولأن السلطان التركي قد رفع شعار الدين لتوحيد المسلمين «يا مسلمي العالم اتحدوا» فقد رفعت بريطانيا كذلك شعار الدين بمحاولة اخراج الهاشميين الذين يحمل المسلمون عاطفة خاصة تجاه أصول نسبهم الشريف. ولنتأمل هذه الديباجة العجيبة التي صدر بها السير «آرثر مكماهون» ممثل بريطانيا في مصر أحد خطاباته للشريف لنرى كيف كانت بريطانيا تستغل شعار الدين في استغلالها للشريف حسين:

الحسيب النسيب سلالة الأشراف وتاج الفخار.. فرع الشجرة النبوية.. والدوحة القرشية الأحمدية.. صاحب المقام الرفيع والمكانة السلمية.. السيد ابن السيد والشريف ابن الشريف.. السيد المبجل دولة الشريف حسين باشا.. سيد الجميع.. أمير مكة المكرمة.. قبلة العالمين.. ومحط رحال المؤمنين الطائعين.. عمت بركته الناس أجمعين»[1].

وهكذا فاستغلال الدين ذو تاريخ قديم عند ملهمي البعثيين.. والشريف حسين هذا ندم على خروجه عن الدولة التركية وعلى ثقته بالانجليز وكان يردد وهو على حافة القبر هذا الندم: على انه لم يعش

(١) محمد جلال كشك، القومية والغزو الفكرى، مكتبة الأمل، الكويت، ١٩٦٧م ص ٣٠٧

بعد وصوله الى الأردن سوى بضعة أيام كان خلالها فاقد الوعى والشعور، وكان ينادى ويقول: «هذا جزاء الذين يثقون بالانجليز ويصادقونهم ويعملون معهم»[(١)].

وقد واصل ابنه فيصل من بعده مسيرته في التودد للنصارى واليهود وقد صدق محمد رشيد رضا عندما وصفهم بأنهم «فتحوا الباب لبريطانيا حتى تمد سيطرتها على البلاد العربية والمسلمة، بل على الديار المقدسة، وخدعوا السوريين بوعودهم وتطميناتهم في حين انهم كانوا متفقين مع بريطانيا، ومستعدين لقبول انتداب فرنسا، وقد خانوا ايضاً قضية فلسطين»[(٢)]

فبعد خذلان الانجليز لهم باقتسامهم الارض العربية مع الفرنسيين حسب اتفاقية سايكس - بيكو، واصل هؤلاء الثوريون المزيفون اتصالاتهم بالصهونية.

وبينما كان السلطان عبدالحميد - على ما كان له من اخطاء وتفريط - يمانع في دخول اليهود فلسطين، رحب بذلك هؤلاء الثوريون اذ لم يعترضوا على وعد بلفور، بل وعدوا من جانبهم بالمساهمة في تحقيق ذلك الوعد. ودخلوا في مفاوضات مع قادة الحركة الصهيونية وكانوا من زملائهم في مساحات الدراسة مثل موسى شاريت، كما فاوض فيصل القائد الصهيوني البروفسور حاييم وايزمان. وقال فيصل: «ان أهداف دكتور وايزمان هي اهدافنا ونحن سنتقبلك دون ان نسألك أى مساعدة في المقابل». كما كتب ابوه في صحيفة «القبلة» يمتدح الهجرة اليهودية الى فلسطين باعتبار مايمكن ان تساهم به من أفكار وأموال في تطوير البلدان. وبالطبع فهذه هي نفس حجة الذين أيدوا صلح كامب ديفيد من الرؤساء والمفكرين المعاصرين.

وهكذا فأجداد البعثيين وراداتهم هم المسئولون الحقيقيون عن كارثة فلسطين، وكانوا قبل ذلك مسئولين عن تمزيق تركيا، واحتلال

(١) أمين سعيد، اسرار الثورة العربية ومأساة الشريف حسين، نقلاً عن محمد جلال كشك في المصدر السابق ص ٣٠١

(٢) الياس مرقص، نقد الفكر القومي، نقلاً عن محمد جلال كشك في المصدر السابق ص ٣١٣.

الشام بواسطة الفرنسيين، والعراق بواسطة الانجليز حسبما اقتضت اتفاقية سايكس ـ بيكو.. ولتدعيم هذا الخط العميل للحركة القومية العلمانية، نشط مبشرو ومستشرقو النصارى المرتبطون بوزارات المستعمرات على صناعة مفكرين يواصلون قيادة هذا الخط.. وها هو الدكتور لويس ماسينيون اكبر مستشرقي فرنسا ومستشار وزارة المستعمرات لشئون شمال افريقيا وراعي جمعيات التبشير الفرنسية، في مصر يقول عن زعيم حزب البعث ميشيل عفلق: «إنه انبغ وأعز تلميذ في حياتي» وذلك حسب ما روى فؤاد الكاظم في مجلة الدستور التي يصدرها البعثيون اليوم من لندن. كما روى فنريروكوى عضو حزب العمال البريطاني على لسان ميشيل عفلق ايضاً قوله انه: «موقن بضرورة إقامة اتحاد لدول المنطقة تنضم اليه اسرائيل، وتحتفظ فيه كل دولة بادارة شئونها الداخلية». (١)

ومن يخون الوطن وترابه، بعد خيانة عقيدته، لا بد ان يخون شعبه كذلك. ولذلك لم يكن غريباً ان يرتد حزب البعث من فكره القومي العام الى هم طائفي محدود. ومنذ تأسيسه اعتمد حزب البعث على الاقليات، وقد كان زعيمه القديم، زكي الأرسوزي، لا يعرف حتى اللغة العربية، التي تعلمها بعد سن الأربعين، وهو الزعيم الذى اصبح فيما بعد يقدس في وله زائف، مبدأ العروبة واللغة العربية، حتى أصبح الحزب يقدسه هو في شخصه ولذلك كان الوحيد من بين قادة الحزب الذى اقام له الحزب تمثالاً، باعتباره رمزاً للقومية، وهو الطائفي المعروف!!

والطائفية مرض معروف من امراض عصور الانحطاط، حيث تتمزق الأمة، الى شيع وطوائف، يضطهد بعضها بعضاً، وتأخذ بعض الطوائف امتيازات على حساب طوائف اخرى.. وبدلاً من أن تكون الفكرة أداة لتوحيد الطوائف، وتكون المجاميع البشرية، في خدمة تلك

---

(١) مجلة النظرة الجديدة، تل ابيب، عدد رقم «٧» بتاريخ فبراير ١٩٥٨م نقلاً عن نهاد الغادرى، التاريخ السرى للعلاقات الشيوعية الصهيونية، دار الكاتب العربي ١٩٦٩ ص ١٦٥.

الفكـرة، تضحيــة واحتســاباً اذا بالفكرة كلها في خدمة الطائفية في محدوديتها وضيق أغراضها.

والغريب ان الطائفية في ظل البعث، بعلمانيته وتقدميته المزعومة، كانت تزداد وتتجذر باستمرار، يقول الكاتب الناصري مطاع صفدي: «ولم يكن احد يستطيع ان يصدق ان حزباً كالبعث، صاحب المنطق القومي والعلماني والتقدمي المتطرف في يوم من الايام، يمكن ان يسقط في شبكـة الطائفية، ولكن هذا وقع فعلاً، عندما انفصلت برجوازية قيادته عن ثورية القواعد والتحمت مع البرجوازية العسكرية، ولم يبق ثمـة طريق الا العـودة الى الجذور الطائفية للسادة الحزبيين الجـدد. كآخـر وسيلة لفـك الحصـار الشعبي واستمـداد الحماية الغريزية من العشيرة والطائفة»[1].

وبالطبع فهذه أسوأ نهاية لحزب يدعو للقومية الأشمل، فاذا به ينكمش في إطار الطائفيـــة الضيقـة التي هي أقـل كثـيراً من حدود الوطنية والقطرية.

وفي داخـل الطائفية نشأت أسرية استولت على السلطة، فحافظ الاسد يعتمد على شقيقه رفعت الاسد، وصدام حسين التكريتي يعتمد على أخيه غير الشقيق برزان التكريتي، وبدرالدين مدثر يعتمد على شقيقـه تيسير مدثر، وهذه مجرد أمثلة فقط لهذه العلاقات الأسرية التي يطفح بها هذا الحزب الذي يدعي القومية والتقدمية، وفي مقابل ذلك ما أجمل ان نقدم لهم هذا المثال الذي قدمه لنا الاسلام، الذي يهاجمونه في صفاقة بالغة، بأنه يشعل الخلافات الدينية والعرقية في الشعـوب، وهـو مثال ابن بطوطة الرحالة والمفكر الاسلامي القديم الذي ولد في طنجة بالمغرب واصبح رئيساً لوزراء تمبكتو بمالي، ثم اصبـح قاضياً للقضاة بمصر، ثم اصبح قاضياً لقضاة الفقه المالكي بالهند، ثم اصبح سفيراً للهند في الصين.. كيف تجاوز الاسلام أسْر الطائفية والوطنية والقومية والعرق واللون واللغة واصبح علاقة جامعة توحد الشعوب الاسلامية من المغرب الى الصين.. وما اصدق

(١) مطاع صفـدي، حزب البعث مأسـاة المـولد مأساة النهاية. منشورات دار الآداب بيروت ١٩٦٤ ص ٣٣٦

قول فيلسوف الاسلام العظيم الشاعر إقبال اذ يقول فى ذلك المعنى:

امم قد عبدت أوطانها — وبنت مّن نسب بنيانها
أترى الأوطان أصل الأمم — تعبد الأرض بها كالصنم؟
هذه الأنساب فخر السفهاء — حكمهافى الجسم والجسم هباء
ولنا فى الحق أس آخر — هو فى الألباب منا مضمر
قد خلصنا من حدود وقيود — قلبنا فى الغيب اذ نحن شهود

وبدلاً من نشر التآخى والتضامن والتواثق، نشر البعثيون أجواء إرهاب كثيفة فى الأقطار التى نشروا فيها ظلهم. وقد كانت الحرية من اول يوم قيمة مؤجلة فى ممارسات حزب البعث، وقد كانوا يعملون مع افتقاد تلك القيمة، على تحقيق قيمة لا تتحقق بإفتقادها وهى قيمة الوحدة التى جعلوها فى رأس شعاراتهم، ومطالبهم. ولا يمكن ان تتحقق الوحدة مع افتقاد الحرية: «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم فى الأمر». ولذلك انفضت جموعهم كلما خالها الناس قد اتحدت، وانفضت وحداتهم الفطيرة الكثيرة لانها لم تقم على أساس من التراضى والشورى.

وانعدمت الحرية فى داخل اجهزة حزب البعث، واصطدمت القيادات القطرية بالقومية، والقيادات العسكرية بالمدنية، و«لم يعد الحزب حزباً.. تفتت.. بعضه يتآمر مع الرئيس عارف ضد البعض الآخر. لقد وصل الصراع الداخلى الى الحد الذى بات معه احدنا يخشى ان يغتاله الآخر»(١).

وما زال هذا دأبهم منذ ذلك الحين، ان يتآمر احدهم مع آخر ضد الآخر، وان يخشى كل ان يغتاله الآخر.

وقد تنبأ سامى الجندى ـ وما كان فى حاجة لذلك ـ باغتياله وقد اغتيل.. وقبل سنوات سأل الدكتورمحمدالرميحى ـوهو أحد القوميين العرب ـ الدكتور صلاح الدين البيطار، فى احدى الندوات الفكرية، عن موضوع الحوار داخل حزب البعث، فأجاب بأنه: «كان غير موجود بشكل بناء» ثم علل ذلك قائلاً: «وربما كان لفردية العربى أثر

(١) رواه سامى الجندى فى كتابه «البعث» ص ١٥٠ على لسان أحد الرفاق.

فى ذلك داخل الحزب. فهناك عند العربى عدم استعداد للحوار. العربى كما كنت اقول ليس لديه ملكة الاستماع، والحوار أساس الديمقراطية.[1]

وكما هو ملاحظ فالبيطار يقر بانعدام الحوار اساساً عند العربى، ولعل فى ذلك بعض شبه من رأى ابن خلدون القديم فى العرب، ولكن ابن خلدون يعترف بدور الدين فى تلطيف ذلك المزاج بينما لا يعترف بذلك البعثيون!

وقد صدق ميشيل عفلق، زعيم القيادة، عندما ندَّد بممثلى القيادة القطرية ووصفهم بالاستبداد قائلاً:

«عندما يكون الضابط فى القيادة السياسية فانه لن يكون قائداً حزبياً ولا قائداً شعبياً. وان لغته لن تكون لغة العقيدة والحوار الحزبى الموضوعى وانما لغة القوة والسلاح! ان وجود عسكريين فى القيادة وفى الحكم مع احتفاظهم برتبهم العسكرية وقطاعاتهم العسكرية هو ابتعاد عن المنطق الثورى الجماهيرى»[2].

كما صدقت القيادة القطرية، عندما وصفت القيادة القومية بالتسلط والفردية قائلة فى أحد بياناتها: «إنه من خلال المترددين الجبناء والمرتبطين فكرياً وتاريخياً مع مدارس الاحتراف السياسى، حاولت قوى التخلف ان تجرف الثورة وتقودها الى هاوية الحكم الفردى وأسلوب المساومة والارتماء»[3].

وبهذه الاساليب القهرية حكم البعثيون قطرين من أعز أقطار العروبة والاسلام، ومهدين من أقدم مهاد الحضارة، لأكثر من عقدين من الزمان، فلم تفلح أفكارهم المتخلفة عن العصر، والمصادمة للتراث ولهوية الأمة وثقافتها فى آن، ان تقدم حافزاً لنهضة أو بوادر نهضة حضارية، ذلك انه ما من حركة فشلت، فى

---

(١) فى خلال حوار بحثه «تجربة حزب البعث» المنشور فى كتاب القومية العربية فى الفكر والممارسة، ص ٤١٢

(٢) ـ (٣) هذان النصان من ضمن الوثائق التى عمر بها كتاب الدكتور يوسف القرضاوى ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ـ ص ١٧٥

استيعاب روح أمتها ووصل تلك الروح بروح العصر، إلا ولحق بها الفشل الذريع كما حدث للحركة الكمالية، فى تركيا، والحركة القومية فى باكستان، والحركة الناصرية فى مصر، ومختلف حركات الاشتراكية الديمقراطية فى إفريقيا.

وحدها الحركات التى وفقت بين أصالة الأمة وانجازات وروح التقنية الغربية، هى الحركات التى استطاعت ان تنشىء دولاً قوية ناهضة بتميزها وفتوتها، مثلما انشأت حركة القومية اليابانية دولة صناعية متقدمة، فى غير ما تناقض مع أصول التراث، ولا تهافت على الثقافة والأفكار الأوربية، وكذا فعلت الحركة الماركسية الروسية التى كيفت الماركسية بما يتفق والتقاليد المحلية، وكذا فعلت الصين التى لم تحذ حتى حذو الماركسيين الروس.. وألغت أصولاً ومقومات أساسية فى الفلسفة الماركسية حتى تتكيف مع الواقع المحلى الصينى.

وفى قلب العالم العربى نشأت اسرائيل على ارتباط وثيق بالدين اليهودى، وبالثقافة العبرية، وأحيت التقاليد القديمة، ولكنها فى ذات الوقت نقلت وطورت آخر مستحدثات العالم الحديث، فأصبحت فى وقت وجيز أقوى دول المنطقة وهزمت كافة الدول التقدمية التى تنكرت لتراثها الذى هو أحدث من التراث اليهودى.

لقد ظل العلمانيون عندنا بعامة، والقوميون منهم بخاصة، والبعثيون منهم على الأخص، على ولاء شديد للتراث الغربى، ينقلون أفكاره القديمة المتخلفة، مثل فكرة القومية، نقلاً عشوائياً بلا تصرف، ومن قديم أسف المؤرخ البريطانى «أرنولد توينبى» لان القوميين العرب نقلوا عناصر القومية كما هى من الغرب، فأحرى بمن ينقل نقلاً مسطراً فى عالم الفكر، ألاّ يتمكن من النقل الرشيد، فى عالم التقنية وهى أصعب وأعقد.

إن فشل البعثيين لمدى عقدين من الزمان، في تشييد دولة قوية تليق بمجد الأمة العربية وتاريخها، ينبغي ان يسحب البساط الذى تدرج عليه دعوتهم، وبخاصة هنا في السودان، الذى يمنونه بالأماني العريضة الكاذبة. ولا ينبغي ان يغرنا تضعضع موقف الحزب الآن بعد الانتخابات أو يغرينا بغض النظر عنه، انه حزب متآمر في الصميم، وهو على قدرة، بوسائله الانتهازية، مهما كان ضعيفاً، على ان يقفز الى السلطة، فينكل بالوطن والمواطنين.

وكل ما كتبناه في هذا الكتاب، لم يكن الا مجرد نذير وتحذير، ونكون بذلك قد برأنا ذمتنا..

وبالله التوفيق

١٢ شعبان ١٤٠٨هـ

٣٠ مـــارس ١٩٨٨م


وثائق

عرض للوثائق

من بين عشرات الوثائق حول حزب البعث، اخترنا هذه الوثائق المعدودة، التى تعطى مثالاً عن مادة كثيفة، آثرنا حذفها. وكلها مما كان يكمل ويقرر كثيراً مما أوردنا فى ثنايا البحث من مقدمات وتحليلات، وما خلصنا اليه من استنتاجات.. وهذا عرض سريع لهذه الوثائق:

الوثيقة الأولى:

أحد أقوى أدلة كفر حزب البعث السودانى بالنظام الحزبى، ومشايعته للنظام الشمولى. ففى هذا البيان الموقع باسم «الاشتراكيون العرب» فى ٢١/١٠/١٩٦٩.. هجوم عنيف على الأحزاب الوطنية، وإشادة بالغة بسلطة مايو الغاشمة، التى زعموا بأنها امتداد لثورة اكتوبر، ورد على هزيمة يونيو ١٩٦٧. مع وعيد للأحزاب بأنها لن تستطيع ان تخترق هذه الثورة كما اخترقت ثورة اكتوبر!

الوثيقة الثانية:

ما أن استقر الأمر للأحزاب الوطينة بعد الانتخابات، حتى عاد حزب البعث لمهادنتها ومحالفتها وقد أخذ الحزب ثمن ذلك من اراضى الدرجة الأولى فى العاصمة، قطعاً سكنية لزعمائه الكبار. وفى هذا الكشف الذى نشرته صحيفة [ألوان] بتاريخ ٣/٦/١٩٨٧م، أسماء لقياديين حزبيين عائدين، ولا عرف عنهم نضال، ولم يسجنوا حتى يعف عنهم. ولم يبادر الحزب حتى الآن بنفى هذا الكشف ولا بإرجاع هذه الأراضى التى أخذوها زوراً بلا استحقاق..

الوثيقة الثالثة:

وفى نفس اليوم الذى نشرت فيه صحيفة [ألوان] الوثيقة السابقة كان الطلاب السودانيون بالعراق يحررون هذه الوثيقة الى السفارة

السودانيــة ببغداد يشكون فيها من المضايقات والتهديدات التى يحاصرهم بها حزب البعث فى الجامعات والمعاهد العراقية، وذلك قبل ان تتفاقم تلك المضايقات وتتشكل فى صورة عنف جسدى، أهدر دم أحد الطلاب السودانيين فى جامعة الموصل، بعد ذلك بأيام.

الوثيقة الرابعة:

عبارة عن صورة من خطاب أرسل الى احد المكتبات السودانية، من احدى دور النشر العراقية، وقد وضعت فى مكان البسملة عبارة بديلة تحمـل التقديس لزعيم الحزب وهى عباراة «كل الحب للقائد صدام حسـين» وفى ذلك ما فيـه من مأخـذ دينى وخـروج على العـرف الديمقراطى الذى لا يقر تقديس وعبادة الأشخاص.

الوثيقة الخامسة:

خطاب سرى عممـه الحزب على أفراد خلاياه فى المهجر الأمريكى بغرض إعداد تقارير عن نشاط الكوادر الحزبية فى نشر فكرة الحزب، ومراقبة أعدائه، ويبدو أن هذا هو الغرض الأساسى من الخطاب اذ ان هنالك تركيز وتفصيل كامل فى أخذ الخطاب على هذا الغرض.

الوثيقة السادسة:

نص قانون أمن حزب البعث السورى الذى أجازه مجلس الشعب، الذى حدد عقوبات رادعة لمعارضى الحزب من بينها الحكم بالاعدام فى بعض الحـالات.. وقد استصدر هذا القانون بعد الحملة الشعبية العنيفـة ضد تجـاوزات الحزب وسقوطه فى أوحال الطائفية بشكل مكشوف ومعادٍ للشعب.

الوثيقة الأولى:

بيان من الاشتراكيين العرب
وحدة .. اشتراكية .. حرية

يا جماهير اكتوبر الباسلة..

لقد كانت ثورة اكتوبر نقطة انعطاف هامة في تاريخنا الوطني الحديث، ادخلت قطرنا في فترة متقدمة من مرحلة الانجاز الوطني التقدمي وذلك لأنها أولا اندلعت بواسطة قوى الشعب العاملة ومن خلف ظهر جبهة المعارضة الرسمية التي كانت تهيمن عليها الأحزاب التقليدية وقيادة حزب الأمة الرجعي الفاشي وبرغم وجودها الشكلي. فالحركة الجماهيرية استطاعت بوعيها العفوي ان تكشف طبيعة تلك المعارضة الهزيلة كحليف طبيعي وجزء لا يتجزأ من النظام العسكري الديكتاتوري برغم تناقضها الشكلي والثانوي معه.. اذ ان فترة الحكم العسكري الديكتاتوري كانت العصر الذهبي لنمو وازدهار الفئات الراسمالية المحلية في القطاعات المختلفة. ولنمو و تطور ارتباطاتها برأس المال الأجنبي ومؤسساته العالمية حتى اصبحت بلادنا تحت رحمة أصحاب طاحونة الاستغلال الامبريالي العالمي. وكانت أجهزة الدولة في خدمة هذه الفئات.. وهي نفس الفئات التي تشكل قاعدة الأحزاب التقليدية المبادة. وثورة اكتوبر ثانيا استطاعت ان تطرح بشكل واضح ومحدد ولأول مرة في تاريخ نضالنا أهداف مرحلة الانجاز الوطني التقدمي كاملة وبالتالي حددت مراكز الصراع السياسي والاجتماعي في قطرنا بين قوى الشعب العاملة من عمال ومزارعين وبرجوازية صغيرة وبين الطبقات الطفيلية المتخلفة

والمرتبطة بالاستعمار العالمي. وثورة اكتوبر ثالثا فتحت طريق السلطة لأول مرة لقوى الشعب العاملة.

لكل ذلك وغيره كانت ثورة اكتوبر نقطة انعطاف تاريخي هامة في تاريخ نضال حركتنا الوطنية ومعلما هاما من معالم مسيرتنا الظافرة.

يا جماهير شعبنا المناضلة..

ان تجربة انتصار اكتوبر يؤكد ان انتصار الجماهير ولو لساعة واحدة يعني إمكانية انتصارها النهائي واستحالة نجاح قوى الثورة المضادة في التصدى لتيار التاريخ الكاسح. واذا كانت قوى الثورة المضادة قد استطاعت ان تخطط لانتكاسة ثورة اكتوبر منذ ايام النضال ضد الحكم العسكرى وسيطرتها على جبهة الأحزاب المعارضة مما أعطاها فرصة التسلل لسلطة اكتوبر الثورية فان هذه التجربة لن تتكرر وذلك لان الحركة الجماهيرية استطاعت ان تمتلك وضوح الرؤيا ووضوح برنامجها الوطني التقدمي وبأنها ازدادت ارتباطا بالاقسام الأخرى من حركة الثورة العربية. وظروف ما بعد هزيمة يونيو ٦٧ وتصاعد العمل الفدائي وانتصار ثورة مايو - امتداد ثورة اكتوبر - كحل لأزمة التطور الوطني التي سببتها الأحزاب التقليدية وكرد على هزيمة يونيو تفرض وحدة القوى التقدمية والوطنية لحماية ثورة مايو وتحقيق أهداف مرحلة الانجاز الوطني التقدمي والمساهمة في معركة العرب القومية ضد الوجود الصهيوني الاستعماري.

يا جماهير اكتوبر

ونحن نحتفل بذكرى ثورة اكتوبر يجب ان ننتبه لتحركات الثورة المضادة في قطرنا و في الأقطار العربية عموما.. وهذه التحركات يربطها خيط واحد رغم تعددها وذلك لأن مصدرها واحد هو التحالف الاستعماري الصهيوني بقاعدته اسرائيل والاحتكارات البترولية.. ففي الوقت الذى تتحرك فيه قوى الثورة المضادة في قطرنا بأساليب جديدة لضرب ثورة مايو المجيدة، تتحرك نفس القوى في ليبيا الثورة

التى تشكل أكبر ضربة للمطالب الاستعمارية فى الوطن العربى بعد هزيمة يونيو. وتأتى الأخبار من عمان وبيروت، بوادر مؤامرة جديدة لتصفيــة العمـل الفدائى تدبرها رؤوس العمالة فى النظام الاردنى واللبنانى المتهالك بغرض فرض حل سلمي يؤمن الوجود الاستعمارى الاسرائيلى.

فلتتيقـظ جمـاهير اكتوبر ولتكمن على استعداد لمواجهة هذا التحرك.. ولتتوحد القوى الثورية فى قطرنا لحماية ثورة مايو ودعم العمل الفدائى..

وعاشت ذكرى ثورة اكتوبر المجيدة وعاشت ذكرى شهدائنا الابرار.

الاشتراكيون العرب

الخرطوم ٢١ / اكتوبر/ ١٩٦٩

أمة عربية ذات

خالدة

الوثيقة الثانية:

في كشوفات الاراضى :
البعثيون أكرم منا جميعا!!

«صحيفة ألوان بتاريخ ١٧ شوال ١٤٠٧هـ الموافق ١٣/٦/١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

لجنة العائدين

النمرة/ ١ / عائدين

الخرطوم في ١٤ /مايو ١٩٨٧

السيد/ مدير الخطة الاسكانية

الموضوع: كشوفات مستحقى العائدين والذين شملهم العفو الشامل

بتوجيه من السيد/ مدير عام مصلحة الأراضى بأن نرسل لسيادتكم كشوفات المستحقين من العائدين والذين شملهم العفو الشامل توطئة لمراجعتها مع المستحقين الذين تقدموا للخطة الاسكانية..

ألفت نظر سيادتكم بأن كشوفات العائدين لا تنطبق عليها شروط الخطة الاسكانية ولذلك يجب مراجعتها مراجعة شاملة..

أرفق لسيادتكم ثلاثة كشوفات، علما بأنها خاصة المكتب، ارجو ارجاعها بعد الانتهاء منها وشكرا..

حيدر على الحاج الخضر

مقرر/ لجنة العائدين

الرقم المسلسل	الاســـــم	الدرجـــة / المدينـــة
٢٤٠	تيسير مدثر سليمان	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٣٢	عمر مهاجر محمدين	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٣١	كمال الضو احمد	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٣٣	بشير حماد ابراهيم	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٣٤	محمد خضر كمبال	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٣٥	اسماعيل عبد الله محمد على مالك	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٣٦	يوسف عيسى بره	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٣٧	احمد جمعة حماد	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٣٨	بكرى محمد خليل	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٣٩	محمود جمال الدين	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٤١	حسن كمال الطاهر	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٤٢	عبد الله عثمان سر الختم	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٤٣	مامون السمانى محمد على	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٤٤	حسين الخزين عبد الله	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٤٥	محمد عثمان عبد الله	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٤٦	محمد عثمان ادريس ابو راس	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٤٧	عثمان وداعة الله محمد	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٤٨	محمد شيخون محمد	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٤٩	كمال حسن بخيت	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٥٠	التيجانى حسين دفع السيد	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٥١	صلاح الدين عبد الرحمن الرشيد	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٥٢	على أحمد حمدان	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٥٣	محمد سيد احمد عتيق	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٥٤	حاج سعيد مكى الكسباوى	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٥٥	مصطفى عبد الرحمن مصطفى	الدرجة الأولى الخرطوم
٣٢٨	محمد عبد الجواد	الدرجة الأولى الخرطوم
٢٣٠	حيدر محمد احمد	الدرجة الأولى امدرمان
٧١	عمر احمد وقيع الله	الدرجة الأولى الخرطوم

سمع الشعب السودانى بالبعثيين أربعة مرات، الأولى حين تآمروا مع نميرى عام ١٩٦٩م فى انقلاب مايو وأسس معه المحامى المغمور بدر الدين مدثر (لجنة الميثاق الوطنى) وشاركوا فى حملات التعبئة حيث اشتهروا فى ندوات تحالف القوى الثورية بالبرارى..

والثـانيـة حين احترقوا سياسيا مع الشيوعيين فى مؤامرة ١٩ / يوليـو المشئـومـة بعـد أن رفض الشعب السودانى فكرهم العميل وبرنامجهم الدموى..

أما الثالثة فكانت حين عارضوا تطبيق الشريعة الاسلامية بالسودان..

أما الرابعة فهى حصولهم على غنيمة أراضى العائدين (بالدرجة الأولى) لكبارهم وطلابهم وعمالهم..

عزيزى القارىء لقد صار البعثيون أكرم منا جميعا ومن شهدائنا بالرغم من انهم ورغم أموال الرافدين جاءوا فى آخر قوائم الانتخابات وفى الدرك الأسفل من درجاتها..

■ حاشيـة: ذكـرنـا محمد عبد الجواد معهم حتى يستبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود..

• وزارة الثقافة والاعلام

الوثيقة الثالثة:

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤/٥/١٩٨٧م

م/ مذكرة

الى سفارة جمهورية السودان .
بغداد المستشارية الثقافية

ظللنا كطلاب سودانيين منذ قدومنا إلى العراق الشقيق تعتبر ان المستشارية الثقافية للسفارة في ظل عهد الانتفاضة والديمقراطية هي الجهة الشرعية الوحيدة التي يتعامل معها الطالب السوداني وهي المنبر الفرد الذي يخاطب من خلاله أهل السلطة والشأن. وظلت هي أبدا أمينة على عهدها، تتبنى مواقفنا وتعكس وجهات نظرنا، وتعمل جاهدة لتقديم العون الممكن إلى أبنائها الطلاب وتضطلع بحل ما يعترضهم من مشاكل وما يتنكب طريقهم من زلل. ولقد درجنا على اللجوء إلى السفارة ندير معها حوارا ونقاشا طويلا حول كل ما يواجهنا من مشاكل. وترتيبا على ذلك عملنا على الكتابة الى سيادتكم لتوضيح الأمر وإطلاعكم على آخر المستجدات في ساحة الموصل.

كان هدفنا منذ أن أتيحت لنا الفرصة للدراسة بالجامعات والمعاهد العراقية الانصراف الى التحصيل والكسب العلمي والاهتمام بالعمل الأكاديمي.. بعيدا عن ممارسة العمل السياسي والتعاطي بالشأن العراقي، كما تراضينا على احترام الحكومة والقوانين العراقية، اما فيما يتعلق ـ بما يسمى ـ برابطة الطلبة السودانيين بالموصل والتي كنا نعتقد ـ مخدوعين ـ بأنها الشجرة الوارفة التي يستظل بظلها كل الطلبة المتواجدين بالساحة وانها المرآه التي ينعكس عليها كل ما يدور في السودان، بكافة المجالات السياسية والثقافية والفكرية وتوهمناها بيت السودان الكبير الذى نثير فيه - كشريحة واعية

مدركــة لدورها تماما كثيرا من المحاورة والمثاقفة والمدارسة فى كل ما يتعلق بأمر السودان الوطن. ودارا تجمعنا فيها آصرة الأخوة وعاطفة الصــداقــة لتــرسيــخ العلائق الاجتماعية الفضلى، وخلناها مربدا نعكس من خلاله تراث الســودان التــالد الأصيــل من أدب وفنــون وعادات وتقاليد. ولكن أبت الرابطة الواقعة تحت تأثير فصيل سياسى معــين ـ الا ان توصــد البــاب فى وجه كل الطلاب المستقلين والذين اعتقدوها نبراسا يضىء لهم الطريق.

ولقد ظلت الممارسات النقابية فى الرابطة بين شد وجذب بين الهيئة الادارية والطلبة المستقلين، وتفاقم الأمر بعد المؤتمر الأخير لرابطة الطلبة السودانيين، والذى تمخض عنه انسحاب عدد كبير ورفضهم لمقرراته وعدم اعترافهم بشرعية الهيئة الادارية الجديدة. وتصاعدت الأحــداث بعــد رفعهم لمذكــرة ضمنــوها كل ذلك. وبعد ذلك شهدت الســاحــة موجــة من الاســتــدعــاءات والاتهامات والتهديد، من قبل المسؤولين فى الكليات والمعاهد. وسنحاول سرد بعض الحالات حتى تكــونــوا على بينة من الأمر. فقد كانت أغلب الاتهامات هى معاداة الحــزب والثــورة والتكتــل خارج اطار الرابــطة وممــارســة العمــل السياسى، الذى يهدد الجبهة الداخلية للعراق وهذه بعض الحالات:

اولا: وجهت بعض الاتهامات لأحد الطلاب فى كلية الزراعة والغابات بأنــه يرأس تكتــلا من الطلبة السودانيين داخل الكلية ويعمل على معاداة الحزب والثورة، ولقد هُدد بأنه (لن يتركوا له الفرصة للندم وقد تقطع يده مخلوفة) على حد قولهم.

ثانيا: تكررت الاستدعاءات لبعض الزملاء فى المعهد الفنى، ووجهت لهم التهم بالعمــل فى تكتلات تتعامل بالأسلحة والأموال، مع بعض الجمــاعات المعادية والمعارضة للحزب والثورة فى العراق. ووجهت تلك الاتهامات من قبل لجان يترأسها رؤساء ومقررى أقسام بالمعهد الفنى.

ثالثــا: ومن التهم ما وجــه لبعض الزملاء فى كليتى التربية والطب البيطرى، بأنهم يعملون على بث أفكار تهدد أمن وسلامة القطر العراقى.

رابعا: واجه أحد الزملاء في كلية الطب البشرى اتهاما بقيادة تكتل يعادى الرابطة والحزب والثورة بواسطة أحد التدريسيين بالكلية.
خامسا: ومن الأحداث الأخيرة قيام الهيئة الادارية ـ عديمة الشرعية ـ برفع مذكرة إلى رئاسة جامعة الموصل متضمنة أسماء ثلاثة وعشرين طالبا سودانيا من مختلف الكليات، متهمة اياهم بإثارة الشغب والتعرض والتحرش بما اسمتهم بالرفاق والمناضلين.. وهددت بالتعرض لهم بكل قوة مطالبة رئاسة الجامعة (بحسم وإجراء اللازم تجاههم، وانها لن تكفل لهم اية حماية، متنصلة من مسؤوليتها إزائهم) وغير ذلك من الاستدعاءات المثبتة لديكم والتى لا يتسع المجال لذكرها.

ترتيبا على كل ما تقدم، وبعد ان بلغ الأمر المدى وتجاوز الحد كما يقال، توجهنا الى سيادتكم بالكتابة عما هو حادث في الساحة بصورة مجملة. وايمانا منا بواجب السفارة السودانية في العمل على حماية ابنائها من الطلبة، من تعرضات وتجاوزات بعض المسؤولين العراقيين، وتوفير المناخ الملائم حتى يتسنى للطالب السودانى الانصراف بكلياته إلى التحصيل العلمى الجاد.. والعودة الى الوطن سالما لرفد مسيرة التقدم والنهوض بالسودان.. ونحن من جانبنا نؤكد على اننا سوف نسعى لتحقيق هذا الهدف الأسمى.. واثقين ان السفارة ومستشاريتها الثقافية سوف لن تدخرا جهدا في العمل من أجل مصالحنا كشريحة طلابية يرتجى منها الكثير.
★ عاشت وحدة الحركة الطلابية السودانية..
★ عاش الشعب السودانى البطل صانع المعجزات..
★ المجد لكل من خط اسمه بأحرف من نور..
★ العار لكل من قوض الديمقراطية..

الموقعون ادناه « ١٦٤ طالبا»

الوثيقة الرابعة:

دار افاق عربية للصحافة والنشر
AFAQ ARABIYA

«كل الحب للقائد صدام حسين»

قسم الأمور المالية

العدد/٢١/١٠/ك

الاشتراكات

التاريخ/٢/٩/١٩٨٥م

إلى/ جمهورية السودان الديمقراطية

م/ ارسال اعداد

تحية طيبة...

نرسل لكم مجلتنا عن طريق التبادل الثقافي آملين بارسال مطبوعاتكم الينا خدمة للثقافة ونعتذر عن الأعداد السابقة لعدم توفرها لدينا في المخزن.

مع التقدير،،،

عبد الجبار محمود العمر

ع/ رئيس مجلس الادارة

مها/١/٩

هاتف: ٤٤٣٦٠٤٤ ـ صندوق بريد ٤٠٣٢ (اداملية) العنوان البرقي: فاق ـ تلكس ٢١٤١٣٥

الوثيقة الخامسة:

حزب البعث العربى الاشتراكى

رسالة

القيادة القومية

منظمة امريكا الشمالية ★ تعميم عاجل جدا★

إلى جميع الرفاق

تحية عربية،

نظرا لظروف المرحلة التى يمر بها حزبنا وما يتعرض له القطر العربى السورى من مؤامرات:

١ / يطلب إلى الرفاق أمناء الخلايا الحزبية تكليف الرفاق فى الخلية بمهام حزبية محددة وبالتناوب بين الرفاق وفق طبيعة المهام الحزبية المبينة فى أسفل هذا التعميم على ان تسجل هذه المهام فى محضر أول اجتماع استثنائى يعقد لهذا الغرض وموافاة قيادة المنظمة بأسماء الرفاق المكلفين وما هى المهام التى كلفوا بها والتواريخ والأمكنة التى سيمارسون فيها مهماتهم.

٢ / يتقدم كل رفيق بتقرير شخصى فى الأسبوع الأول من كل شهر يشرح فيه بايجاز ما تم انجازه على صعيد النشاط الحزبى والسياسى واتصالاته مع الطلبة العرب والنشاطات المعادية التى يلحظها وأسماء العناصر المعادية وغير ذلك من النشاطات.

٣/ يسلم هذا التقرير الى الرفيق أمين الخلية الذى يعتبر مسؤولا عن متابعة هذا الموضوع واستلام التقارير ومناقشتها فى الاجتماع الحزبى ثم رفعها مع محضر الجلسة الى قيادة المنظمة، وتسجيل اسماء الرفاق الذين لم يتقدموا بالتقارير فى مواعيدها المحددة.

٤ / في الأماكن التي لا يوجد فيها خلايا حزبية يطلب من الرفيق الحزبي ارسال تقريره الشخصي المتضمن نشاطاته التي مارسها خلال الشهر إلى قيادة المنظمة على عنوان السفارة مباشرة على ان تصل التقارير خلال الاسبوع الاول من كل شهر، ويكتب على الظرف المرسل الى السفارة كلمة قيادة باللغة العربية.

٥/ لا يقبل الاعتذار من أي رفيق مهما كانت صفته الحزبية الا بعد موافقة قيادة المنظمة. وعلى الرفيق في حال وجود عذر قاهر يتقدم بكتاب خطي إلى أمين خليته أو إلى قيادة المنظمة اذا لم يكن ضمن خلية يشرح فيه اسباب اعتذاره عن تقديم تقريره الشهري في موعده المحدد.

- طبيعة المهام الحزبية التي يكلف بها الرفاق:

١ / رصد نشاطات القوى المعادية التي تنشط في مجال عمل الرفيق.

٢ / البحث والاستقصاء عن أسماء العناصر المعادية (الاسم الثلاثي) وأماكن تواجدها وعملها وأهم نشاطاتها.

٣ / جلب المنشورات المعادية وتسليمها إلى أمين الخلية أو ارسالها مع التقرير الشهري الى قيادة المنظمة في حال عدم وجود الرفيق ضمن خلية.

٤ / توزيع المنشورات الحزبية (مع تحديد المكان والزمان لذلك)

٥ / تكليف الرفاق الاتصال بمن يرونه صديقا للحزب من أجل كسبه وتنسيبه إلى صفوف الحزب.

يتم العمل وفق هذا التعميم فورا.

والخلود لرسالتنا....

قيادة منظمة امريكا الشمالية
لحزب البعث العربي الاشتراكي

٩ آذار ١٩٨٢..

الوثيقة السادسة

قانون أمن حزب البعث

= مجلس الشعب يقر قانون أمن الحزب.
= البعث الحزب القائد في المجتمع والدولة.
= أمواله عامة وادارتها خاضعة للرقابة والتفتيش.

دمشق - سانا - أقر مجلس الشعب القانون رقم ٥٣ تاريخ ١٩٧٩/٤/٨م هذا نصه:

الفصل الأول

المادة ١ - حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب القائد في المجتمع والدولة، ويتمتع بالشخصية الاعتبارية ويمارس الحقوق المقررة لها وفقا للأحكام النافذة.

المادة ٢ - لكل مواطن حق الانتساب إلى حزب البعث العربي الاشتراكي وفقا لأحكام نظامه الداخلي.

المادة ٣ - يمثل الحزب الأمين العام أو من ينوب عنه وفقا لنظامه الداخلي.

المادة ٤ - أ - تعتبر أموال الحزب المنقولة وغير المنقولة أموالا عامة لا يجوز حجزها أو مصادرتها، وتتمتع بما للأموال العامة من حقوق وامتيازات.

ب - تخضع ادارة أموال الحزب واستثمارها لرقابة الهيئة المركزية للرقابة والتفتيش.

الفصل الثاني

المادة ٥ - يعاقب بالحبس من خمس سنوات إلى عشر سنوات:

أ - كل عضو في الحزب ينتمي إلى تنظيم سياسي آخر.

ب ـ كل من انـدس في صفـوف الحزب بقصد العمل لصالح اية جهة سياسية أو حزبية أخرى.

المادة ٦ ـ من دخل أو حاول الدخول إلى مقرات الحزب بقصد الحصول على وثائق أو معلومات أو مقررات ذات صفة سرية أوجبت القيادة القطرية بقاءها مكتومة، عوقب بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات.

المادة ٧ ـ من سرق وثائق تتضمن معلومات أو مقررات كالتي ذكرت في المادة السابقة، أو استحصل عليها، عوقب بالأشغال الشاقة المؤقتة.

المـادة ٨ ـ يعاقب بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات كل من أفشى دون سبب مشروع مضمـون ما بحيـازتـه من الوثائق المقرر سريتها وفقا لأحكام المواد السابقة.

المـادة ٩ ـ كل فعل يقصد به منع الحزب عن ممارسته مهامه المنصوص عليها في الدستور والقوانين النافذة يعاقب بالاعتقال مدة لا تقل عن خمس سنوات، واذا اقترن الفعل بالعنف كانت العقوبة بالأشغال الشاقة المؤبدة.

المادة ١٠ ـ أ ـ كل من يعتدي على أحد مقرات الحزب يعاقب بالاعتقال المؤقت من ثلاث سنوات إلى عشر سنوات.

ب ـ وتكون العقوبة الاعدام:

أولا ـ اذا وقـع الفعـل بتحريض أو تدخل من جهة خارجية.

ثانيا ـ أو اذا نجم عن الفعل قتل أحد الناس.

المادة ١١ ـ كل من علم بجناية من الجنايات الوارد ذكرها في هذا القـانون، ولم يخبر بها السلطة العامة أو القيادة الحزبية يعاقب بالحبس من سنة إلى سنتين.

المـادة ١٢ ـ أ ـ كل مؤامرة أو اتفاق يرمي إلى ارتكاب احدى

الجرائم الواردة في هذا القانون يعاقب بالحبس ستة اشهر على الاقل.

ب - يعفى من العقوبة

من اشترك في اتفاق أو مؤامرة أو عمل من شأنه المساس بأمن الحزب وأخبر به القيادة الحزبية أو السلطة العامة قبل البدء بالتنفيذ.

ج - ويستفيد من العذر

المخفف كل من أخبر عن المؤامرة أو الاتفاق أو عن اية جريمة اخرى على امن الحزب قبل اتمامها، أو اتاح القبض على المجرمين الآخرين ولو بعد مباشرة الملاحقة.

المادة ١٣ - لا تجرى التبعات القانونية بشأن الجرائم المنصوص والمعاقب عليها في المواد (٥ - ٨) من هذا القانون الا بناء على طلب خطي من الأمين العام للحزب أو من يفوضه بذلك.

المادة ١٤ - لا تطبق الأسباب المخففة التقديرية أو وقف الحكم النافذ أو وقف التنفيذ على الجرائم المشار اليها في المادة السابقة.

المادة ١٥ - ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية، ويعتبر نافذا بعد ثلاثة اشهر من تاريخ صدوره.

الاثنين ١٩ جمادى الأولى ١٣٩٩هـ

١٦ نيسان ١٩٧٩م

نشر هذا القانون بصحيفة «تشرين» العدد ١١٠٩

السيرة الذاتية
محمد وقيع الله احمد

* من مواليد ١٩٥٤.
* تخرج في جامعة ام درمان الاسلامية ـ قسم العلوم السياسية ١٩٧٧.
* تخصص في السياسات الصينية بجامعة اوهايو التي اخذ منها درجة الماجستير ١٩٨١.
* يعمل مساعدا للتدريس بجامعة ام درمان الاسلامية.
* عمل محررا بصحيفتي «الراية» و«الوان» بالسودان.
* يواصل الآن دراساته للدكتوراة بالولايات المتحدة.



السودان ـ أم درمان عمارة محمد حسين على
الطابق الثانى ـ شقة ٤٧ ـ تليفون ٥١٤٥٩ ـ ص ب ٦٤٠٨ ـ تلكس ٢٢١٦٧ ثانا